عاشق النازية

رواية

سلمى بنت مصلح الكعيكي

عاشق النازية
المؤلفة : سلمى بنت مصلح الكعيكي

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولي : يناير 2018
رقم الإيداع : 28660 / 2017
الترقيم الدولي : 978-977-769-208-3

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف– الدور
الخامس – مكتب 57
م : 01010490247
ت : (02)23963002

الإهداء:

أهدي ما بين هذه الصفحات لبصيص الأمل الذي طالما عشت في كنفه، وقام باحتوائي في حين قيصر الألم وإمبراطور الإحباط وحاشيتهما يرميان سهامهما عليَّ.

وإلى والديَّ وإخوتي وجميع من وقف إلى جانبي.

سلمى الكعيكي

المقدمة

عزيزي/ تي

إن مجرد الشعور بالرغبة في الانتقام؛ يدخلك في دائرة من اللذة والإنتشاء أولًا لكن سرعان ما تشعر باختفاء هذه اللذة وكأنه سرابٌ يحسبه الظمآن ماءً.

-بعد ماذا؟

«بعد حدث خلف حدث جلب الدمار والحزن للآخرين بعد دمار وحزن نفسك».

روايتي يا عزيزي/ تي

بَدَأَت بإنتقام، غاصت قليلًا في برزخ ما بين الحب والتضحية، لا نهاية.

ما لي أراك متعجبًا؟

أتبحث عن النهاية؟

إذًا ستراها في سلسلة من الأحداث.

سلمى بنت مصلح الكعيكي

من عام 2005م إلى عام 2008م وقعت حوادث اختفاء مفاجئة في شتى المدن الألمانية وكانت غالبًا تلك الحوادث تقع في البارات والمطاعم التي يرتادها الطاعنون في السن ومن يئس من الحياة عمومًا.

رجّحت الجهات الأمنية بأن أسباب تلك الحوادث ليست سوى محض مصادفة وليست لها علاقة بحادثة سيجال الجماعية.

على الرغم من ذلك شكك البعض بأن هناك رابطًا قويًا بينهما ومن أولائك البعض باحثة في قسم مكافحة الجرائم «سلمى أدولف»، ذات أصول عربية نشأت في إحدى قرى هانبورغ وأكملت تعليمها الجامعي هناك.

في عام2008م ومنذ حصولها على أول ساعات العمل في قسم مكافحة الجرائم كانت لديها رغبة جامحة في معرفة أسباب حادثة سيجال الجماعية وحوادث الاختفاء الغامضة في حين زملاء العمل رأوا بأن البحث في ذلك مضيعة للوقت ليس إلا.

مرارًا وتكرارًا حاولت إقناع ذاتها بأن من هم أعلى رتبة وأكثر خبرة منها لم يستطيعوا معرفة خبايا تلك الحوادث، تجد صدودًا بداخلها يخبرها بأنها ستعرف قريبًا ما لا يعرفونه.

أصبحت تلك الحوادث المبهمة كابوسًا يؤرقها ويقلق مضجعها.

في الساعة 5:00 مساءً قبيل غروب الشمس واختفائها خلف تلال قرية كوخيم مجموعة من الشبان يستقلون سيارة فورد أمريكية الصنع في رحلة استجمام أو كما دعاها أحد الشبان «عودة الروح» بينما ضحك ستيثيام على الاسم وبادله الابتسام سائق السيارة «طوم»، بينما بقي الشاب »متأمل« كما دعاه أصدقاؤه يستمع للحديث مبتسمًا ومتأملًا من خلف نافذة السيارة يرسل نظره الضعيف من خلف نظارته الحاملة لعلامة رايبان التجارية وقد خالفته أخته في اختيار هذه النظارة؛ لأن اللون لم يرُق لها نعم رأى «متأمل» بأن أخته كالبقية تهتم بالمظهر ولا ترى للجوهر قيمة.

نزل الشبان بجانب نهر الموزل تمامًا حيث مزارع العنب وإطلالتها الرائعة من على منحدرات الجبال.

مايكل: «وأخيرًا وصلنا للمكان المنشود».

طوم: «لم أرد هذا المكان؛ لما سمعته من إشاعات عنه».

مايكل: «ها أنت قلت إشاعات وليست حقيقة».

أعلم أنك لا تصدقني حسنًا أين ستيثيام؟! يلتفت يمنة ويسرة، أعلم هو من تثق به، لكن أين هو؟

«طوم» بصوت متكسر الكلمات يملأه الخوف: «ستيثيام أين

أنت؟»

مايكل: «اخرج يا ستيثيام لقد أخفته بما فيه الكفاية، إنني أراك خلف الشجرة تعالَ إلى هنا».

يرمقه طوم بنظرة غير المصدق فيرد مايكل: «أقسم بأنني أراه».

ستيثيام: «ها أنتما! يا إلهي لماذا تصرخان لمناداتي وأنا خلفكما؟ بصوت متقطع لاهث: لم أعتقد بأنني في يومٍ ما سأجد صعوبة في قضاء حاجتي».

مايكل: «نعم ومن الذي رأيته خلف تلك الشجرة؟».

طوم: «لقد بدأت تخيفني إن لم يكن ستيثيام مَن رأيته يا مايكل فمن يكون؟»

مايكل:«انتظرا أين السيد متأمل؟!»

ستيثيام: «لقد رأيته توًا ينزل الحقائب من السيارة».

مايكل: «بأية حال ربما يكون أحد السياح يتجول هنا».

بدأ الليل يسدل ستاره والنجوم تتلألأ في السماء الصافية تمامًا والشبان بدأوا بنصب الخيام بعد ذلك قاموا بإشعال النار وطوم بصوته الجميل يغني بأجمل الألحان حولها ويعزف على قيثارته المكسيكية يدوية الصنع التي جلبها له والده الراحل من المكسيك عندما كان في الإعدادية؛ مكافأةً له على درجاته العالية في الدراسة والتي جعلت والده فخورًا به بين أصدقائه وأقربائه.

متأمل: «صدقًا أحن لصديقنا هاري».

يتوقف طوم عن العزف: «صدقًا أتمنى لو تستطيع اللحاق به».

مايكل: «أرجوكما كفّا عن الحديث فمجرد تذكري لتلك الحادثة تختفي السعادة وتعود لحياتي الكآبة».

ستيثيام قادمًا من بعيد: «إلهي أتمنى أن يجدوا علاجًا سريعًا للسكري، لقد تعبت، فهذه المرة الثالثة في ساعة واحدة أقضي حاجتي فيها، مهلًا ما هذا الهدوء المخيم عليكم جميعًا.

طوم: «لا شيء، غلبني النعاس سأنام أراكم صباحًا».

عند الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل استيقظت سلمى على غير هدى من وماذا تريد في هذه الساعة، ورأسها لا يكاد يخلو من التفكير في تلك الحوادث، ولا دليل واحد يشير إلى بصيص أمل في حلها.

تذهب إلى المطبخ وتصنع قهوة سوداء قاتمة على ما يبدو القهوة التركية التي تعلمت صنعها من جارتها السورية التي في المبنى المجاور. لم تكن سلمى اجتماعية عكس ما تبدو عليه، فمنذ وفاة والديها بحادث مأساوي، لم تفكر يومًا ببناء علاقات ودية مع أحد، كانت تفعل كل ما يتوجب عليها فعله للعيش بسلام وكان الإنشغال بالعمل هو أحد سبل نجاتها كما ترى من الإنغماس في الوحدة المميتة.

من بعد شرود تفكيرها المطول يعيده طفو القهوة وسيلانها على الفرن.

«يا إلهي أرح تفكيري» تسكب القهوة في كوب خزفي أبيض عليه نقش لنورس وشاطئ هادئ وكأن طفلًا نقشه عليه لما من البراءة ما توحيها تلك النقشة، هذا ما كانت تعتقده سلمى.

تمشي بخطوات متثاقلة إلى إحدى الغرف، تشعل الضوء، كانت الغرفة كعقلها تمامًا مليئة بالفوضى العارمة، ابتداءً بعتبة الباب ومن

رسائل حب مهملة لم تفتح ولم يعرف ما بداخلها من حبيبها الذي كانت تتصوره ملاكًا وبأن قلبه لا يضاهيه قلب بشري آخر أبدًا وما إن لبث ذلك الشعور مدة تقارب ٣ سنوات حتى انتهى بخذلان كُسِر قلبها من خلاله.

تبعد الرسائل بقدميها النحيلتين آملةً بأن لو باستطاعتها إبعاد ما تبقى من حبٍ له في قلبها.

تصادفها مجموعة من الصحف اليومية تلتقط إحداها تلفت نظرها صورة لرجل عجوز يدعى أوليفر تجاوز السبعين قُبض عليه يشجع على الحركة النازية الحديثة، تجد من ضمن ما كتب عنه بأنه قد شخصت حالته وتبين بأنه مصاب بالخرف وعاد إلى ماضيه ولا أحد سيعاقبه كونه رجلًا عجوزًا ولا أحد يأبه لحديثه وأطلق سراحه من عدة جهات أمنية في برلين العاصمة.

تضع الكوب على الطاولة الصغيرة المتوسطة لكرسيين خشبيين جلبها والدها من محل يتحدث العاملون فيه بالإيطالية عندما كانت بعمر التاسعة.

تمسح بيديها على الكرسي الجالسة عليه «أبي أذكر تمامًا ما حدث في ذلك اليوم وكأنه بالأمس القريب كم كنت حمقاء عندما صرخت في وجهك لأنك لم تجد كرسيًّا ثالثًا لي، أبي أنا أشعر بالوحدة هل بالإمكان أن تعود وتأخذني بعيدًا عن هنا؟».

«أيها المتسول ابتعد من هنا؛ بسبب مظهرك المقزز لا أستطيع جلب الزبائن لمحلي»..

«لا يوجد مكان أفضل من هنا لقد طردني جميع العاملون بتلك المحلات ،محل غتن مورغن ، ويدفعه العامل..

«أوه آسف، خذ هذا المال، وأتوسل إليك لا تعود إلى هنا، تسوّل في مكان آخر، اذهب إلى فرانكفورت أو ميونخ، أو لتذهب إلى الجحيم، آسف لا أستطيع السيطرة على نفسي فزوجتي ستلد قريبًا وليس لدي مال كافٍ لعمليتها القيصرية وأنت تقطع رزقي».

يرفع المتسول بصره ويحك ذقنه:

«أحقًا تريد المال كما أريده؟»

«ومن لا يريد المال في هذه الحياة حتى الغني يريده ليزداد غنى».

«أعرف مكانًا إن قصده كلانا سنجني المال الوفير».

«هذا ما كان ينقصني، أحمق ومجنون يستعرض جنونه أمامي، لو كان هناك مال تعرف مكانه يا أحمق لمَ لا تذهب إليه؟! دون التسول يوميًا أمام محلي».

«أقسم بأنني لا أقول سوى الحقيقة، لمَ لا تذهب معي وتراه بأم

عينيك، وأنا لا أستطيع فعل ذلك وحدي».

يمسك العامل رأسه، ويغطي عينيه بكلتا يديه، ويفكر بحبيبته وزوجته إيفانكا التي ستلد قريبًا ابنه الذي عزمت على تسميته بجون، وكيف إن وجد المال بأنه سيحيا حياة كريمة في مدينة كبيرة أفضل من بيعه للخرداوات في مدينة حقيرة، ونطق قائلًا: «سأذهب وأتمنى أن أجده وإن لم أجده أعدك بأنني سألقنك درسًا يفقدك عقلك».

ابتسم المتسول بخبث، وقال: «لن تضطر إلى فعل ذلك، حسنًا سنلتقي غدًا عند الساعة العاشرة صباحًا في باحة موسيلينو بجانب مبنى البلدية من المؤكد بأنك تعرفه، آه لا تخبر زوجتك لأنها إن علمت ستفسد العمل وسأكون ممتنًا ألا تفعل ذلك».

يذهب المتسول بعدما لوّح بيده بطريقةٍ يملؤها الشعور بالإنتصار قريبًا.

العامل يرمقه وهو يذهب بعيدًا متجاوزًا المحلات الصغيرة أمامه، ويصفع جبينه: «يا إلهي هل أنا بكامل وعيي كيف أصدق هذا المعتوه، وإن يكن سأذهب وماذا سأخسر».

بعد شروق الشمس بدقائق قليلة يصدح صوت مدوٍ، يملأه الألم تحت إحدى الخيام بجانب نهر المزول:

«طوم، ستيثيام، ناطلس، أنا لا أستطيع الرؤية، أرجوكم! إنني خائف لا أرى سوى الظلام يكتسح عينيّ».

ستيثيام: «مايكل أنا هنا خلفك أمسك بيدي لا تخف اهدأ».

«أين أين؟ إنني مذعور أرجوك لا تتركني؛ أنا أخشى الظلام».

ناطلس: «صديقي ما الذي دهاك جميعنا حولك لا تخشى شيئًا».

طوم قادمًا من خلف الأشجار وجبينه قد امتلأ بحبات العرق: «مايكل ما بال عينيك قد ابيضت».

ستيثيام: «طوم لا تخيفه سيكون بخير، ربما لسعته حشرة ما، أو شرب شيئًا أثر على عينيه، سأذهب إلى الطبيب أنا وناطلس، أما أنت يا طوم حزّم الأمتعة لنعود للمدينة سريعًا، وأنت يا مايكل أعدك بأنك ستكون بخير فقط اهدأ».

طوم: «ما الذي دهاك يا ناطلس لمَ لا تساعد ستيثيام على إسناد مايكل، أوه تبدو متوترًا أهناك خطب ما».

ناطلس: «أنا، لا فقط خائف على مايكل آه أين نظارتي» يبحث في

معطفه لقد وجدتها.

يسرع ناطلس خلف ستيثيام ومايكل لا يكاد يتوقف عن التسخط وشتم الوقت الذي أراد الذهاب فيه لهذه الرحلة.

بعدما ركبا السيارة وقطعا الطريق مسافة عشرين كيلو مترًا قال ناطلس: «لمَ لمْ نأخذ طوم معنا، فهذه المدينة مسقط رأسه ويعرفها ويعرف جميع قراها».

ستيثيام: «لقد انضممت إلينا حديثًا ومن المؤكد بأنك لا تعلم بأن طوم لديه عقدة من رائحة مادة الفورمالين، فمجرد أن يشتمها يبدأ الإستفراغ، مايكل اهدأ أنت رجل ومن المؤكد ستكون بخير».

ناطلس: «أوه حسنًا ولهذا لم تأخذه معنا».

مايكل: «كفا عن الحديث واهتما بي إن عيني تحرقانني».

ستيثيام: «وفقًا للخريطة يوجد بعد هذا الشارع مستشفى كوخيم».

طوم في المخيم عند الساعة الثامنة يحزم الأمتعة ويغني

«أوه أتى موعد النصر قريبًا»

«أوه غني يا طائر الحناء معي»

مع تنهيدة سعيدة «لو لم أفعل ذلك لأفسد ذلك الفضولي خطتي».

عند الساعة الثانية ظهرًا في أحدى مكاتب قسم مكافحة الجريمة في هامبورغ جلست سلمى أدولف على مقعدها تحدق إلى طاولتها الممتلئة بصور لأشخاص مفقودين وضحايا جرائم أصبحت ملفات قضاياهم في طيات النسيان، لأن من يبحث عنها أو خلفها يجد نفسه في حلقة مفرغة لا نهاية لها.

أتى شاب طويل أبيض البشرة وقد خالطته سمرة على ما يبدو بأنه بقي تحت أشعة الشمس فترة ليكتسب هذا اللون، عريض المنكبين بشعر أسود وعينين زرقاوين: «مرحبًا أنا جون ديمتري أعمل منذ خمس سنوات هنا وهذا مكتبي الجديد لحسن الحظ زميلتي بالعمل والغرفة أيضًا جميلة».

«مرحبًا أنا سلمى أدولف شكرًا لإطرائك أوه لقد أوقعت الصور».

«سألتقطها عنكِ، اسم جميل»

«لا داعي لذلك».

«لقد نسيت هناك جثة لبائع خرداوات في باحة موسيلينو في قرية كوخيم وعلى ما يبدو أنها أول قضية تحقيق سنعمل عليها معًا».

«حسنًا أخبرني بما لديك».

بدأ يفتح الملف ويقلب الصفحات..

«في باحة موسيلينو في قرية كوخيم في الغرب الألماني كما تعلمين كوخيم مدينة سياحية إن عينيك جميلة لنكمل؛ وُجِدت جثة لبائع خرداوات من سكان المدينة يدعى أنطونيو إيطالي في العقد الثالث يقال إن لعائلته والتي تدعى المارتنيز ثروة طائلة لكن لم يعطه والده شيئًا منها لأنه تزوج بألمانية وزوجته تعيش في ذات المدينة وحامل بشهرها الأخير، لا دليل على وجود تشابك بالأيدي أو شجار مما يعني أن القاتل يعرف المقتول جيدًا وفجأة بطريقة ما ضربه من الأمام والخلف بواسطة ماسورة قديمة اقتلعت من إحدى الحدائق القريبة من الباحة. المحير بملف القضية أن المقتول كان واضعًا يده على قلبه مشكلًا قبضة، وانتهى».

«هل هناك أي بصمات على الماسورة».

«انتظري سأتصل بصديقي المحلل هناك».

يمسك جون هاتفه النقال وينقر على اسم بالاك ويجري الاتصال: «مرحبًا بالاك هل من جديد».

من الطرف الآخر: «لا أعلم أو بالأصح لا توجد هناك بصمات سوى بصمات المقتول وغرااااء».

نظرت إليه سلمى بفضول تريد معرفة لماذا تلون وجه جون

هكذا.

«إن الأمر مضحك هل أنت متأكد».

«تعلم تمامًا بأنني جاد».

«شكرًا لك».

«على الرحب والسعة».

سلمى: «تحدث ماذا هناك؟».

جون: «لا بصمات سوى بصمات المقتول أو المنتحر وغراء».

«هل أنت جاد».

«وماذا عساي أكون؟»

«يا إلهي فمن غير المنطق أن يقتل رجل نفسه بماسورة والضربة قلت من الأمام والخلف».

«هل تفكرين بما أفكر فيه؟».

«سنسافر إلى كوخيم».

«وسنسأل من كان متواجدًا هناك وسنرى زوجة الضحية وأصدقائه وهل له أعداء!،هل أنتِ موافقة يا فتاة؟».

مع ابتسامةٍ مرحة: «أجل».

في وقتٍ سابقٍ وفي بيت صغير ودافئ، امرأة شقراء ترتب ملابس زوجها وهي حامل وعلى ما يبدو عليها من التعب والإرهاق بأن موعد ولادتها قريب جدًا، دخل زوجها ممسكًا إياها من الخلف وقبلها قبلة لطيفة، مرتسمة على شفتيها الصغيرتين ابتسامة جميلة: «أهذا أنت أنطونيو؟!».

«ومن يكون غيري يا أجمل النساء؟!».

التفتت إليه وأبعد خصلة من شعرها جاءت على وجهها..

«لقد تأخرت ساعة كاملة».

أمسك بكتفيها وقال: «اجلسي لدي أخبار سارة».

«ماذا هناك أخبرني؟!».

قصّ لها ما دار بينه وبين المتسول متجاهلًا تحذيره إياه بعدم إخبارها.

«أوه هل تصدق هذا الكلام من متسول؟».

«أجل يا عزيزتي، سأرى ما عنده أشعر بأن كل شيء سيكون على ما يرام بعد ذلك، لا تنسي أيقظيني باكرًا يا عصفورتي! فليكن قبل العاشرة بنصف ساعة».

«سأفعل، ألن تأكل قبل أن تنام؟».

«لا أريد».

«هل ستدعني آكل أنا وابنك فقط؟».

«لن أفعل وسأحضره أنا».

مجموعة من الأسرة البيضاء، والرائحة النفاذة للفورمالين تملأ المكان، والأطباء والممرضون يملؤون الأرجاء، والأصوات تتعالى والأجهزة تصدر رنينها المزعج في مستشفى كوخيم.

«أرجوك يا طبيب أعطِ ابني مسكنًا فهو لا ينام ليلًا بسبب قدمه».

في زاوية أخرى رجل مسن يحمل أدويته وفتاة شابة تحمل طفلًا.

وفي إحدى الغرف يئن مايكل بسبب الألم الذي في عينيه.

ستيثيام: «فجأة استيقظ وقام بالصراخ وقال إنه لا يرى، أخبرنا يا طبيب ما مشكلته؟».

الطبيب: «لقد وضع في عينيه قطارة لمعالجة شبكية العين، وكانت القطارة غير مناسبة له، فسببت له العمى المؤقت، لا تقلقا سيعود بصيرًا قريبًا جدًا على الأرجح بعد عدة ساعات وسنعالجه هنا».

«هل سمعت يا مايكل ستعود بصيرًا، لكن أرجوك ابقَ هادئًا فأنت تحرجنا بصراخك».

ناطلس يسير بالممر مفكرًا: «قطارة لمعالجة شبكية العين! إنها التي ضاعت مني منذ فترة في منزله».

ستيشام: «ناطلس هل هناك ما تود إخباري به؟».

ناطلس بتوتر: «أعلم بأنك ستلقي اللوم عليَّ وأنا لم أفعل ذلك».

ستيشام: «سنتحدث عن ذلك لاحقًا».

مايكل: «ستيشاااام وناطلس تعالا إلى هنا».

ناطلس: «مايكل صوتك يلفت الأنظار إلينا».

ستيشام: «أنا هنا بجانبك».

مايكل: «ستيشام لا تضع اللوم على ناطلس وأنت يا ناطلس لا تفكر أبدًا بأنك الملام، في الحقيقة هيه هل أنتما هنا».

«أجل أجل!!».

«في الحقيقة أنا أضع عدسات لاصقة، فلون عينيّ رمادي وأنا لأجل جذب الفتيات اللاتي هنا وضعت عدسات لاصقة بلون أزرق، لكن حدث ما لم يكن بالحسبان عندما ضاعت قطارة المعالجة الخاصة بناطلس في منزلي أنا أخطأت وأخذتها بدل محلول العدسات اللاصقة».

ستيشام: «يا لك من أحمق، ألا ترى بأن القطارتين مختلفتان».

مايكل: «لا توبخني فما حدث قد حدث».

رن هاتف ناطلس، رأى الرقم بأنه مجهول ضغط زر الرد.

حديث من الطرف الآخر: «هل أنت سعيد لقد وفرت عليك الطريق وانتقمت منه».

ناطلس: «من المتكلم؟»

أقفل الخط وبدا على ناطلس التوتر والتعرق على جبينه.

ستيثيام: «من المتصل؟».

ناطلس: «إنها أمي تريد الإطمئنان عليَّ».

جون: «قرية كوخيم المدينة الساحرة منذ فترة طويلة كنت أفكّر بأن آتي إلى هنا، آه لم أود أن يكون مجيئي إليها يختص بالعمل».

سلمى: «ألا تلحظ بأنك تتذمر كثيرًا فمنذ إقلاع الطائرة وحتى هذه اللحظة».

يسيران خارج المطار على عجلة من أمرهما، لم يحجزا فندقًا ليستريحا من عناء السفر، ولم يستأجرا سيارة للتجوال، ولن يقضيا وقتهما في التمتع بالمناظر الخلابة حولهما؛ فقط استقلا أول سيارة أجرة صادفتهما عند الخروج من المطار؛ لكي يستطيعا كسب مزيداً من الوقت في جمع الحقائق حول هذه الجريمة والعودة إلى هانبورغ سريعًا، فهذا ما أمرهما به رئيس المكافحة الذي بعد إلحاح منهما على تولي هذه القضية الخارجة عن دائرة منطقتهما.

سلمى: «هل أنت هولندي».

السائق: «لا يا آنسة ما الذي دعاك إلى هذا التخمين؟».

سلمى: «لكنتك الغريبة!»

يلتفت جون إلى المقعد الخلفي..

«إنه من بلد عربي»

سلمى متفاجئة: «أحقًا!!!»

السائق: «أجل لكن كيف علمت ذلك».

جون بكل غرور: «من الخاتم ذا الحجر الكريم حول إصبعك البنصر».

سلمى بكل حماس: «يا لك من محقق بارع لم أعد أخشى شيئًا في هذه القضية سنحلها سريعًا ونعود إلى هانبورغ».

جون: «شكرًا لكِ يا سلمى».

السائق: «سلمى إنه اسم عربي ولدى مخطوبتي هذا الاسم أيضًا» خنقته الغصة وصمت.

سلمى: «وأين هي مخطوبتك؟ حقًا يسعدني أن أجد شخصًا يحمل ذات الاسم».

السائق:«لقد أخذتها الحرب مني وتوفيت هناك تحت الأنقاض التي لم ترفع إلى الآن، فبعد وفاتها قررت ترك سوريا؛ لأنها كانت كل ما أملك هناك».

جون: «أوقفنا هنا».

سلمى: «هل وصلنا».

«أجل ترجلي رجاءً».

«سيدي نحن آسفان قد أيقظنا جراحك أتمنى لك الحياة السعيدة».

السائق: «لا داعي لذلك يا آنسة شكرًا لكِ».

جون: «مع السلامة».

فارقتهما سيارة الأجرة مختفية وسط مجموعة من السيارات المماثلة هناك.

جون: «أنا لا أثق بالعرب ومن هم آتون من الحروب».

سلمى: «أحقًا ما تقول؟ إذًا أنا ذات أصول عربية لمَ تثق بي؟».

أطلق جون ضحكة عالية: «لقد قرأت سجلك وعلمت بأنكِ ألمانية، دعي عنكِ التعاطف مع العرب».

سلمى: «أنت أحمق ساذج، فليس كل ما يكتب على الورق حقيقة، فأنا عربية ويسعدني لو تلتزم الصمت لقد أغضبتني».

جون بتهكم: «حسنًا.. حسنًا، سنناقش هذا الأمر لاحقًا دعينا نركز على القضية، أوقفي سيارة أجرة لقد تعبت من المشي».

سلمى: «لن أفعل».

جون ملوحًا بيده تتوقف سيارة أجرة ركباها بعدما أخبراه بأنهما يريدان الذهاب إلى باحة موسلينيو.

جون: «ستكون هذه آخر قضية أعمل بها معكِ فأنا لا أحبذ الفتاة العنيدة».

سلمى: «هذا كل ما آمله».

ستيثيام: «ناطلس لمَ أراك متوترًا؟».

ناطلس: «لا شيء بحق أنا بخير».

«إذًا اتصل بطوم وقل له بأن يأتي ليقلَّنا من هنا، فقد أخبرني الطبيب بأن مايكل يحتاج إلى ملازمة المنزل من أسبوع إلى عشرة أيام، هناك خبر سيئ لا يعلم مايكل بأنه لن يستطيع الرؤية جيدًا بعد ذلك».

«هل أنت جاد؟!».

«هذا ما قاله الطبيب، وسيحتاج إلى نظارة طبية تلازمه طوال حياته».

«أتفهم حزنك عليه فأنتما صديقان بل أخوان».

«على ما يبدو سيواجه مايكل صعوبة في تقبل هكذا أمر، لكن أرجو أن تكون لديه شجاعة كافية لتقبله».

ناطلس ملتفتًا إلى الجدار، مدعيًا الحزن على مايكل مع ابتسامة سعادة عارمة: كيف لا يكون سعيدًا!وما تمناه قد حدث؛ فمايكل منذ عدة سنوات جعل بصره يضعف شيئًا فشيئًا بسبب الليزر الذي كان يضع شعاعه المستقيم على عينيّ ناطلس مازحًا.

ستيشام يربت على كتف ناطلس: «سنساعد صديقنا على تجاوز الأمر لا داعي للحزن».

«أجل سنفعل ذلك» شرد ذهنه ممسكًا بهاتفه ومفكرًا بمن سيكون صاحب هذا الرقم المجهول الذي انتقم له ويعرف سر تخطيطه للإنتقام.

«ما الذي تفعله؟».

«أنا آه سأتصل بطوم».

«هذه الباحة أمامنا مباشرة والحديقة على الجانب الآخر منها»، ضاحكًا: «تبدين كالحمقاء هل أنتِ منبهرة لهذا الحد الذي جعلك تفتحين فيك بهذا الشكل؟»

«عذرًا»

«لقد قرأت عنها قبل قدومنا إلى هنا، انظري إلى هذه الباحة كم هي جميلة بهندستها المعمارية القديمة! من المؤسف بأنها كانت تستخدم للإعدام في القرون الوسطى على ما يبدو، إن الملك ذاك الحين أحبّ إمتاع أنظار المحكوم عليهم قبل أن يسلب أرواحهم، أعتقد بأنه رحيم بشكل آخر».

«العصور المظلمة كانت مظلمة حقًا حتى بعقول ملوكها».

تتسابق خطواتهما في الوصول لموقع الحادثة والمفاجئ فيها أن لا شيء يدل على أن دمًا قد أُهدر هنا.

«اتصل بصديقك، ما اسمه؟»

«بالاك!»

تقطب حاجباها «ومَن غيره؟»

يبحث في هاتفه باهتمام «أين اسمك يا بالاك.. ها هو»

«إنك تغضبني وتضحكني في آن واحد»

وضع جون هاتفه المحمول على أذنه جيدًا «مرحبًا بالاك، أنا في موقع الجريمة الآن ولا آثار ولا شريط أصفر بالكاد أعتقد بأن في الأمر مزحة».

«مرحبًا بك، لم نستطع وضع الشريط وقمنا بالاكتفاء بتصوير الحادثة، وأداة الجريمة؛ لأن كما تعلم مبنى البلدية قريبٌ جدًا من الموقع، وفي هذا اليوم بالتحديد زيارة لعمدة بلدية دروسلوف ونحن لا نريد الإساءة لوجهتنا كما تعلم».

جون بتنهيدة عميقة: «إخفاء الحقائق عن الآخرين هذا ما تفعلونه دائمًا، حسنًا سنأتي إليك ونرى الصور»، مغلقًا بعد ذلك الخط دون سماع الرد من الطرف الآخر.

جون: «هل أخبركِ ماذا قال؟»

سلمى مبتسمة: «ما من داعٍ إلى ذلك، كان الصوت عاليًا كفاية، أوه أتساءل كيف تحادثُ حبيبتك وصوت الهاتف هكذا إن الأمر محرج».

جون: «لا تقلقي فأنا لم أجد الوقت لأحب أحدًا».

سلمى: «مثير للاهتمام نصيحة لا تحب أحدًا لأن قلبك سيتحطم، أوقف سيارة الأجرة».

جون ملوحًا بيده تتوقف سيارة الأجرة ملتفتًا، قائلًا لها:

«تتحدثين هكذا وكأنكِ قد أحببتِ يومًا وتحطم قلبكِ».

سلمى لم تنبس ببنت شفة وكأنها رأت شبحًا أمامها، تنطلق سيارة الأجرة بهما وتطوي المسافات وكأنها تفرش شوكًا في ذاكرتها عندما عادت إلى الوراء، في آذار من قبل

ثلاث سنوات طرق الإعجاب أولًا بابيّ عينيها عندما كانت في مطعم ميركل للوجبات السريعة في جادة روزفلت بعد خروجها من الجامعة في فترة الظهيرة، رأت رجلًا جميلًا، وذا أسلوب راقٍ في تعامله مع أمه المسنة، حيث كان يضع لها البردة حول عنقها، ويأكل معها ما تريد أكله هي، في ذلك الحين لم تُرِد سلمى أن تردّ طرفي عينيها من شدة إعجابها به، تمنت بأن تكون هي مكانه وتفعل لوالدتها كما يفعل هو لوالدته لكن هي تعلم حقًا بأنه لا يمكن تحقيق أمنية متعلقة بمن هم تحت الثرى، نادت النادل هناك وأعطته الحساب مانعة عينيها من أن تذرف الدموع حزنًا؛ لأنها حزمت أمرها منذ فترة طويلة بأن تجعل تلك الذكرى الحزينة في طيات النسيان.

جون: «سلمى.. سلمى استيقظي من سباتك ها قد وصلنا، يا إلهي ما بعينيكِ مغرورتان بالدموع».

سلمى منتفضة: «كيف نمت هكذا ولأني نمت قليلًا ولهذا عيناي امتلأتا بالدموع».

جون مخرج المال من محفظته: «كم حسابك يا سيد».

سائق الأجرة: «خمسة وعشرون يورو».

جون عابسًا: «تفضل».

سلمى مستفهمة: «يبدو بأن السعر لم يقنعك؟».

«إن بقينا مدة أطول هنا وهكذا من مكان لآخر ندفع المال على سيارات الأجرة سأعلن إفلاسي قريبًا».

ارتسمت ابتسامة على شفتيها: «لا تقلق حل القضية معي وسأعوضك يا بخيل».

ضربها على جبينها مداعبًا: «أنا بخيل سأوريك يا عربية».

«آلمتني، تذكرت أنك اسأت لأصلي؟!».

«آه سنناقش هذا الأمر لاحقًا، متذمرًا: «أوف لقد قال لي بأي طابق من هذا المبنى العملاق». حاكًا ذقنه.

«الطابق الرابع والعشرون».

مشددًا على التاء: »سمعكِ وذاكرتكِ قويتان».

«كفاك استفزازًا لي فأنا أعلم بأنك تعلم بأنه في الطابق الرابع والعشرون».

رافعًا حاجبيه بغرور مستفز: «ذكية».

عند الساعة 9:45 مساءً بينما كان طوم منشغلًا بمسح آثار دماء حديثة عن ملابس، رن هاتفه المحمول بنغمة لفرقة ون داريكشون البريطانية.

متحدثًا إلى الفضاء الواسع حوله «يا إلهي ألا يرون أنني منشغل».

رفع الهاتف ضاغطًا على زر الرد:

«مرحبًا» منصتًا إلى من في الطرف الآخر.

«أنا ناطلس أبحث عن سيارة تقلك وأحزم الأمتعة وتعالَ إلينا في مستشفى كوخيم، مايكل سيخرج نحن في انتظارك».

ستيثيام رافعًا صوته: «وقل له لا تنسَ كتاب ستيثيام وساعته».

طوم: «لقد سمعته قل له إنني لم أنسَ شيئًا أنا قادمٌ إليكم فقط سأبحث عن سيارة تقلني وحمدًا لله على سلامة ذاك الأهوج».

ضغط جون زر المصعد للطابق الرابع والعشرين رغم أن سلمى وضعت يدها عليه لضغطه لكن؛ طبيعة جون في حب قيادة الأمور جعله يتولى ذلك فما كان من زميلته إلا أن ابتسمت في وجههِ تعبيرًا منها أن لا مشكلة لديها.

وعند ولوجهما للمكان المحدد أدلفَ جون يده في جيبه ليخرج هاتفه لإخبار بالاك بذلك إلا أن بالاك كان أمامهما مباشرة وبالكاد عرفه جون من بعد تغيير تسريحة شعره العادية إلى تسريحة مواكبة للموضة.

بالاك«: جون؟».

جون«: أوه يا إلهي بالكاد عرفتك لقد تغيرت كثيرًا وما هذه التسريحة الجميلة؟».

بالاك:«هل تعتقد بأن سكان كوخيم لا يستطيعون فعل ما تفعلونه في هامبورغ! هل هي جميلة بحق؟»

جون ضاحكًا:«أجل ولكنك مازلت الأحمق الذي أعرفه، أوه نسيت أن أعرّفك بزميلتي في العمل من هانبورغ أيضًا».

بالاك:«أنا آسف، مرحبًا أدعى بالاك».

سلمى مصافحةً إياه: «أهلًا أدعى سلمى».

بالاك: «سررت بمعرفتك».

سلمى: «سررت بمعرفتك أيضًا».

جون: «هل ستحدثها عن حياتك هيا أرنا الصور نحن في عجالة من أمرنا».

بالاك: «لن أؤخركما اتبعاني».

ضغط بالاك على شاشة مسح البصمة ودخلوا إلى المختبر الخاص به المليء بالأوراق، والسجلات، والصور المحمضة، وأجهزة كمبيوتر بعضها مهترئ وتالف من شاشة منكسرة، ومن لوحة مفاتيح معظم أزرارها مختفية.

بالاك: « أعذراني على هذه الفوضى العارمة سأرتبها حين أجد الوقت المناسب لذلك».

أحضر الأوراق والصور بيدين مرتعشتين، وكأنه عجوز بالستين من عمره، في حين تسليمه الأوراق والصور لجون سقطت بين يديهما،

تبعثرت الأوراق والصور على الأرض.

بالاك: «أنا آسف فبعد تلك الحادثة لم أعد متماسكًا».

جون: « لابأس فما حدث أصبح مـ».

تصلب جون في مكانه بعد رؤيته لصورة تجمع إيفانكا بزوجها

الراحل، لاحظت سلمى ذلك وأمسكت بيده «هل تعرف أحد منهما؟».

«أنا.. لا.. لكن أشعر بصداع ولم أستطع الانحناء لالتقاطها».

«حسنًا على ما يبدو بأنك مرهق فمن الطبيعي أن تكون كذلك فمنذ أن تركنا الطائرة لم تأكل ولم تنم بعدها».

بالاك:« هل أجلب لك شيئًا تأكله؟»

جون:«لا، أريد أن أرتاح قليلًا».

سلمى:«أرني ما لديك يبدو بأنهما متحابين».

تبدأ بقلب صورة خلف الأخرى «لا جديد جميعها صور عادية، وهذه ذات المعلومات التي لدينا».

رفع بالاك حاجبيه: «هل تريدين رؤية المزيد من الصور؟».

سلمى: «صحيح فأنت لم تُرني صور موقع الحادثة والأداة أين هي؟».

جون شارد الذهن واضعًا يده على رأسه مفكرًا تفكيرًا يدور بخلده: «ما هذه الكارثة التي حلت بي أين المخرج منها، لابد من مخرج».

سلمى:«جون هل تسمعني؟هل أنت بخير الآن؟».

جون«:حقيقة لا أشعر بأنني على ما يرام فهذه الحالة لأول مرة تصيبني لابد من الذهاب إلى المستشفى».

بالاك:«حسنًا دعني أقلّك إليه».

سلمى:«ستكون بخير وسنذهب معًا لكن انتظر قليلًا، بالاك هل من الممكن أن تريني صور الحادثة بسرعة؟».

بالاك بتوتر:«حالًا».

بدأ بالاك بنفض الغبار عن الملفات اعتقادًا بأن الصور في إحداها، أطلق شتيمة على نفسه بأنه غبي وكثير النسيان وإلا كيف ينسى بأن هذه الصور حديثة وما زالت في غرفة تحميض الصور ولم يخرجها!.

بالاك:«اعذريني يا آنسة ليست هنا سأجلبها من الغرفة المجاورة».

خطا مسرعًا ونظرت إليه سلمى باستغراب متسائلة:«كيف لرجل مثل هذا أن يعمل بمركز حساس ومتعلق بحياة الآخرين».

جون رادًا على تساؤلها:«إنه من قبل أربع سنوات لم يكن هكذا لكن بعد تناوله لعقار مجهد للعقل بالخطأ في مخبره أصبحت هكذا حاله، آه يا رأسي أشعر بأنه سينفجر».

سلمى:«كيف لعالم بالمختبر أن يتناول هكذا مكون».

أتى بالاك باديًا عليه الإجهاد: »هاهي تفضلي».

سلمى متناولة الظرف من يده:«سأتابع الموضوع لكن دعنا أولًا نذهب إلى المستشفى بجون».

بالاك:«بالطبع سأذهب بكما».

جون متحدثا والأنين لا يفارقه :«بالاك لا داعي أن تكبد نفسك هذا العناء».

«كيف لا أفعل وأنت بهذه الحال يا صديقي دعني أساعدك على المشي».

يزداد أنين جون في هذه الأثناء ومن سمعه اعتقد بأن ثعبان قد لسعه.

في باحة موسيلينو عند الساعة 10:10 صباحًا قبل وقوع الحادثة، يتفاجأ أنطونيو برؤية شخص كان قد عرفه جيدًا ورآه عدة مرات في حفلات أعياد الميلاد وفي المناسبات وحتى زواجه بمحبوبته إيفانكا.

الشخص: «فقد كنت بانتظارك، لقد تأخرت عشر دقائق».

أنطونيو:« أنا أعرفك جيدًا وأعرف قسمات هذا الوجه الذي عندما أراه في كل مرة أشعر بروح شريرة تسكنه».

الشخص:«لديك نظرة ثاقبة، لكن للأسف لم تساعدك هذه النظرة في معرفة أن المتسول الذي تهينه دائمًا هو ذاته أنا».

نظر الشخص إلى خلف أنطونيو مبتسمًا ومواصلًا حديثه:«لقد كنت قد أخبرتك بألَّا تخبر زوجتك بأمر هذا اللقاء، لكنك غبي لا تفهم انظر خلفك».

أنطونيو ملتفتًا خلفه:«إيفانكا ما الذي أتى بك إلى هنا، مالي أراكِ لستِ بإيفانكا التي أعرفها».

مقتربًا الشخص من أنطونيو بحذر وتنظر إيفانكا إليه وإلى زوجها محاولة إلهاء زوجها عنه، إيفانكا: « أنطونيو حبيبي انظر

لهذه الماسورة الفضية التي بيدي ألا تذكرك بلحظات جمعتنا هنا سويًا».

تأتي ضربة من قبل إيفانكا على مقدمة رأس أنطونيو قائلة: «لابد من هذا العناء الطويل أن ينتهي».

أتت ضربة أخرى من الخلف مزامنة لتلك التي بالأمام، أسقطتا أنطونيو أرضًا قاضيتين على حياته.

الشخص: «حبيبتي لا داعي أن تعاني بعد الآن».

واقترب منها ووضع يده على بطنها «يا إلهي طفلي هنا وسيخرج إلى النور قريبًا».

ابتسمت إيفانكا: «أجل يا حبيبي هل تشعر بحركته».

الشخص بعدما طبع قبلة على شفتيها: «نعم، آه نسينا الجثة سأسحبها إلى عمق الزقا، ،وسنذهب كأن شيئًا لم يحدث».

تقابله إيفانكا الابتسام قائلة: «أشعر وكأن ثقلًا كالجبال قد أُزيح عن قلبي».

أمام مستشفى كوخيم ترجل طوم من سيارة المرسيدس التي طلبها من أحد مراكز التأجير في القرية، على ما بدا بأنه كان يخطط جيدًا لهذه الاحتفالية برأيه.

«الآن سأدخل وأُري الأغبياء إنني أشعر بالأسى على حال صديقي المقرب».

تتسابق خطواته مع غطرسة شبيهة بغطرسة طاؤوس نافشًا ريشه ذا الألوان الزاهية.

وقف عند طاولة الإستقبال وما إن بدأ بالتحدث حتى عاد للخلف ممسكًا بفيه، متذكرًا بأنه قد نسي أن لديه عقدة من رائحة الفورمالين.

«يا إلهي سأختنق وسأرجع ما أكلته، ما هذا الحظ العاثر».

خرج من المستشفى مسرعًا ومنزلًا رأسه إلى الأرض، في هذه الأثناء دخل الثلاثة (سلمى، جون، بالاك)، للإطمئنان على حالة جون الصحية، أدخلاه للطوارئ وبقيا في الإنتظار خارجًا.

سلمى مشبكة أصابع يديها وتسأل بالاك بإهتمام:«سمعت بأنك تعرضت لحادث قبل أربع سنوات، وبصراحة أريد معرفة ما حدث

في ذلك الوقت.

بدأ جبين بالاك بالتعرق: «لا أظنه الوقت المناسب لذلك».

«بلى، أرجوك».

«كنت في إحدى ليالي أبريل، أعمل بمختبري على إحدى القضايا الشائكة، فكانت عادتي بأن أضع بجانبي كوبًا من عصير الليمون، لكن بطريقة أو أخرى لا أذكر ما الذي حدث، عندما شربت أول جرعة وثاني جرعة لم أشعر بطعم الليمون اللاذع الذي أحبه، فكل ما شعرت به، دوار قد أصابني وبعدها لا أذكر أي شيء».

«وما الذي حدث لاحقًا».

«أخبروني بأنهم وجدوني قد حطمت كل شيء في مختبري وأحرقت بعض الأوراق »بدأ بالضحك، «إنه من المحرج ألا أذكر بأنني قد فعلت ذلك».

«ربما يكون أحد قد فعلها».

«قلت ذلك لكن قالوا لي بأن آخر بصمة سجلها الكاشف في ذلك اليوم كانت بصمتي، أي لم يدخل أحدٌ سواي».

«الأمر محير».

«بالطبع محير ويبعث عالجنون في كل مرة أرى الحطام حولي، أشعر بالأسى على نفسي».

«هل توقف الأمر على ذلك؟».

«لم يتوقف على ذلك، لقد أجبروني على التوقف عن العمل مدة ستة أشهر وأُقفلت القضية بعد ذلك بسبب أن لا أدلة تذكر فقد أتلفت بالمختبر».

«ما كانت القضية؟».

«كانت.....».

الطبيب:«مرحبًا إن المريض كان يعاني من ارتفاع حاد بالضغط هل أكل شيئًا مالحًا».

سلمى:«لا لم يأكل شيئًا البتة».

الطبيب:«حسنًا هو يحتاج إلى البقاء لدينا يومين تحت الملاحظة، هل تستطيعين إعطاء الإستقبال معلوماته؟».

سلمى:«نعم أستطيع».

ملتفة إلى بالاك الذي لم يكن متوازنًا في وقفته فمن يراه قد يعتقد بأنه مختلًّا لولا ملابسه وأناقته التي توحي بعكس ذلك.

سلمى:«بالاك هل تعرف معلومات صديقك جون».

بالاك:«أجل جميعها فهو صديقي منذ أربع سنوات ونصف السنة».

«أتسائل كيف تقابلتما وكلٌّ منكما في منطقة مختلفة، فـجون لم يخبرني بأنه أتى إلى كوخيم قبلًا».

حك بالاك ذقنه مفكرًا:«ربما تكون حبيبته وليست مجرد زميلة

وإن أخبرتها بأنه يأتي إلى هنا مرارًا ستدعوه بالكاذب وتهجره سأقول لها».

سلمى: «ما الذي تفكر فيه هل نسيت كيف تقابلتما».

بالاك: «لا يا آنسة في الحقيقة كنت في هانبورغ لرحلة عمل وهناك تعارفنا».

«جميل، أخبر الممرضة بالمعلومات».

«اكتبي اسمه جون ديمتري، يبلغ من العمر 32 عامًا».

الممرضة: «سيدي هل أُصيب المريض بأي حادث قبلًا».

«لا لا أعتقد، لمَ السؤال».

«لأن هناك جرحًا حديثًا في رأسه».

«قد يكون حادثًا بسيطًا ولو كان قد أضره وتضرر منه سيخبرني».

الممرضة: «هل من الممكن رؤية هويته الوطنية».

«حسنًا سأجلبها لكِ منه دقائق فقط».

سلمى: «خذني معك لنراه ونطمئن على حالته».

بالاك: « لقد نسينا، يا أختي أين أخذوه، ولأي غرفة؟!».

الممرضة: «دعني أرى أممممم 17 في نهاية الرواق».

عند الوصول إلى الغرفة 17 طرق بالاك الباب ودخلا معًا.

جون: «لم أعتقد بأنني سأبقى حيًا بعد ذلك الألم الفضيع».

سلمى: «مُربِتةً على كتفه سينتهي الألم فقط كن قويًا، وما الذي

رفع ضغطك لهذا القدر هل أكلت شيئًا».

جون:«لا فأنا كنت معكِ طوال الوقت، ربما من الإرهاق».

بالاك:« لأجل ذلك سأعمل عنك في مساعدة زميلتك»غامزًا لجون بعينه اليسرى موحيًا له بأن هناك معنىً آخر لزميلتك.

جون:«أقدر لك ذلك، لكن لا تنسيا إعطائي معلومات عن كل ما تكتشفانه».

سلمى:«سنفعل ذلك، أولًا أعطنا هويتك الوطنية يريدون كتابة رقم سجلك الوطني».

جون:«إنها خلف بالاك بداخل معطفي على الجانب الأيمن منه».

بعد البحث في المعطف الصوفي ذا اللون الرمادي وجد بالاك البطاقة، في حين سلمى تساعد جون في تعديل وضعية السرير الكهربائي الذي تعرف عمله تمامًا لأن جزءًا من قلبها كان طريح الفراش بالتقنية ذاتها.

عندما ذهبا وأغلقا الباب خلفهما تنفس جون الصعداء:«لم أعلم بأنني أمتلك موهبة التمثيل بهذا القدر، آه كدت أموت لقد شربت كمية هائلة من كلوريد الصوديوم(الملح) في مختبر بالاك، أن أموت ولا يحدث ما أخشاه، سأنام الآن قرير العين».

«ماذا هل سيضل هذا الغشاء يمنعني من الرؤية بوضوح طوال عمري؟!»هكذا قال مايكل كلماته بحرقة وألم وصراخ غاضب.

ستيثيام:«اهدأ ستلبس نظارة طبية وعلى الشكل الذي تريده، ولن ترى غشاء أمامك كما الآن».

مايكل بغضب جامح:« آه سألبس نظارة هل تسخر مني ؟».

أمسك بالإبرة المغذية وأزالها عن يده ورماها في وجه ستيثيام.

«تريد مني أن أكون كالأبله بنظارتي وعندما تسقط أبحث في الأرض لأجدها، كناطلس؟».

ستيثيام:«أرجوك اصمت لا يسمعك».

في حين كانا يتحدثان كان ناطلس خلف الباب حاملًا بيديه اللتين ترتجفان من الغضب والكره الذي بداخله قارورتي ماء.

مايكل:«دعه يسمع فهو على كل حال يعرف بأنه مثير للشفقة والسخرية».

اشتد غضب ناطلس وأدمعت عيناه حزنا، اهتز هاتفه في جيبه وكأنه يحاول إيقاظه من سبات الحزن العميق، وسقطت إحدى القارورتين منه، سمع ذلك الصوت كلٍ من مايكل وستيثيام.

ستيشيام بتوتر: «ناطلس هل هذا أنت».

ناطلس مجبرًا نفسه على الابتسام، أنت تعتقد وأنا أعتقد بأنه لا أسوأ من إجبار جوارحك الخارجية أن تعاكس ما يشعر به قلبك، لكن؛ كان ناطلس يجد سهولة في إجبار نفسه على ذلك لأنه اعتاد على الألم حتى تبلد قلبه وإحساسه، كان يرى بأنه لابد من لحظة يستيقظ فيها القلب وتنتهي مسألة الإجبار هذه بعد قطع مسيرة الإنتقام الرحيم.

ملتقطًا القارورة «أجل أنا».

بعدما وضع كلتا القارورتين على الطاولة التي بجانب مايكل، أجاب على هاتفه: «مرحبًا، سنخرج بعد دقائق كن بالإنتظار».

«حبيبي أنا خائفة من أن يكتشف أحدٌ ما ما حدث».

«عزيزتي تعلمين بأن هذه لم تكن الجريمة الأولى التي أفعلها».

«نبرة صوتك تخيفني».

«إنني أمازحك، فهذه أول وآخر جريمة».

سمعت إيفانكا طرقًا على الباب في آخر ردهة منزلها البالي، ارتعشت يداها، أمسكت سماعة الهاتف بشدة لتخفف هذا الإرتعاش: « ما الذي علي فعله أخشى أن تكون الشرطة».

الطرف الآخر مشجعًا: «كوني قوية ولا تقولي أي شيء سوى بأنه خرج ولم يخبركِ بشيء».

«إن الطرق يزداد».

«لا تتوتري وأخرجي دموع التماسيح من عينيكِ الجميلتين».

«أنت تضحكني وتخجلني في آنٍ واحد أراك لاحقًا».

أقفلت الخط، وتوقف الطرق؛ تقطب حاجباها وضغطت بيدها على بطنها بقوة: «إن هذه الأقمشة تزعجني، فمتى يحين الموعد، وأتخلص منها».

في ذلك الحين تحوّل الطرق من باب منزل إيفانكا إلى باب جيرانها

المقابل الذي سرعان ما تم فتحه من الطرقة الثانية.

خرجت منه امرأة في العقد الرابع من العمر والشيب قد كسا شعرها، والتجاعيد رسمت خطوطها، كان شخصان، سلمى وبالاك، سلمى لم تجد صعوبة في معرفة جنسيتها، فقد كانت ترتدي ساريًا ورديًا، وتضع نقطة حمراء بين حاجبيها والبشرة الداكنة قليلًا دلائل واضحة على أنها هندية، الهندية كانت ملامح الاستغراب والدهشة تعلوانها، وكأنها لأول مرة ترى أحدًا يطرق بابها.

سلمى مبتسمة:«مرحبًا هل تتحدثين الألمانية».

أومأت الهندية برأسها بأنها لم تفهم.

غيرت سلمى سؤالها باللغة الإنجليزية.

أومأت الهندية إيجابًا بنعم.

أمسك بالاك يد سلمى «هل تتحدثين الإنجليزية؟»

هامسةً: «القليل منها لعل الكلمات التي حفظتها تسعفني».

«سيدتي اسمي سلمى وهذا بالاك، نحن محققان ونحقق في قضية مقتل جارك السيد أنطونيو».

تبدلت ملامح المرأة وكأنها رأت ظلًا ولا تعلم هل هو ظل بشر أو شبح عابر.

«أدعى نانديني، متى قُتِل جاري فأنا لا أعلم بذلك؟»

«سيدة نانديني! إن جارك قد قُتل قبل يومين ونحن نحقق في

قضيته».

حكت ذقنها حيرة مما سمعت، وقالت بصوت لا يكاد يسمع:« لقد كان البارحة موجودًا».

«ما الذي قلتهِ توًّا».

ضمت كلتا يديها اعتذارًا» أنا لا أعلم شيئًا، أعذراني لقد تأخرت عن عملي بالمستشفى».

« حسنًا إن لقاءنا لم ينتهِ وأعتقد بأننا سنلتقي مجددًا».

بغضب وحزم:«ما الذي تريدانه مني».

بالاك:«جارتك لم تفتح الباب هل تعلمين أين هي».

ترجمت سلمى ما قاله بالاك إلى الإنجليزية.

«لا أعلم دعاني اذهب وإلا سأخسر عملي»ناظرة إلى الخلف»ها هي قد خرجت لكما «.

مرت السيدة نانديني من أمام الجميع بعد أن تلقت نظرة غريبة من إيفانكا.

سلمى وبالاك اقتربا من إيفانكا.

إيفانكا والدموع قد غسلت وجنتيها:»هل كنتما تبحثان عني؟».

سلمى:«نحن آسفان لما حدث لزوجك».

صكت إيفانكا وجهها قائلة:«كيف أحيا بدونه يا ليتني أنا التي مت».

بالاك:«سيدة مارتنيز اهدأي فأنتِ حامل وسيضر بالجنين الحزن الشديد».

إيفانكا بأسى:«أنا آسفة إلى هذه اللحظة أشعر بأنه ما زال حيًا وأنتظره في كل ليلة».

سلمى مربتةً على كتفها:«سيعوضك ابنك وستنسين كل لحظة حزن على والده».

مسحت إيفانكا دموعها قائلة:«أتمنى ذلك أرجوكما تفضلا لا تبقيا على الباب».

سلمى:«حسنًا شكرًا لك».

بالاك:«لديك منزل هادئ ومليء بالأدوات المختلفة».

«إن زوجي كان يعمل بائعًا للخرداوات ومحله ضيق قليلًا، فقد كان يجلب بعض الأدوات هنا حتى يتسع المحل».

سلمى:«لقد نسينا أن نخبرك إننا محققان وأردنا معرفة بعض الأمور منكِ».

إيفانكا ذرفت الدموع مجددًا :« أرجوكما اقبضا على قاتل زوجي وعاقباه بشدة فقد ترك بداخلي طفلًا وسيكون يتيمًا بسبب ذلك الحقير، زوجي طيب وليس لديه صداقات أو عداوات مع أحد وأيضًا كان فقيرًا ما الذي كان يريده ذلك السافل».

سلمى:«سنعاقبه، لكن نريد أن نسألك بعضًا من الأسئلة التي»

بالاك:«من الممكن أنا تساعدنا في إيجاده».

إيفانكا:«كم أود ذلك، لكن لا أعلم شيئًا سوى أنه خرج ولم يعد أبدًا».

سلمى:«حاولي أن تتذكري أي شيء قبل الحادثة، هل تكلم مع أحد؟ أو أخبركِ بشجار مع أحد ما».

«لا فقد كان كالحمل الوديع لا يؤذي أحدًا، آه يا حسرة قلبي عليك يا حبيبي».

«ما هي ساعة ذهابه إلى العمل عادة؟».

«الساعة الحادية عشرة».

بالاك:«هل تسمحين لنا بالبحث في منزلكِ قليلًا».

إيفانكا ترددت في الإجابة لكن بعد أن تذكرت أن لا دليل بالمنزل مرتبط بالحادثة ردت بثقة:« أجل أجل لا بأس».

سلمى:«بالاك هل معك آلة التصوير».

«لا لقد تركتها بالسيارة».

«وهاتفك».

«إن هاتفي من الطراز القديم، انظري إليه لا يشبع ولا يغني من جوع».

«وهاتفي كذلك وأنا أريد صورًا واضحة جدًا، فضلًا هل تستطيع جلب الكاميرا».

بالاك بحماس: «أستطيع».

بعدما خرج بالاك من الباب، دخلت سلمى إلى المطبخ مبتدئة عملية البحث، استوقفتها علبة على طاولة الطعام وعلى ما بدا كانت حديثة الإستخدام وعندما قرأت اللاصقة على العلبة: «خل التفاح».

عادت إلى غرفة المعيشة المتواجدة فيها إيفانكا.

سلمى: «سيدة مارتنيز أنتِ بأي شهر حامل».

«الشهر التاسع».

جلست سلمى بجانبها محاولة بحركة مقصودة الإطاحة بالمزهرية المقابلة لمقعدي جلوسهما؛ التي سرعان ما التقطها إيفانكا.

«أنا آسفة أردت أن أقرأ هذا الكتاب، أعجبني عنوانه».

«لا بأس».

بدأت سلمى تفكر هل ما يدور في خلدها حقيقة أو محض خيال مجنون؟ هل تخبرها ما تشعر به تجاهها أو تكتفي بالبحث عن أدلة معقولة، هذه أول قضية لها، عازمة على أن لا تدع التعجل يفسد عليها القضية، ربما ما تفكر به محض مصادفة وردة فعل عادية، على ما بدا على سلمى عندما ابتسمت بأنها ستجعل الصبر طريقًا لحل القضية.

بالاك باديًا عليه الإنهاك: « ما هذا الدرج الطويل لقد وصلت» بصوت لاهث «ما الذي أصوره يا آنسة».

«صوِّر جميع ما تراه أمامك».

طوم مشعلًا السيجارة ومتحدثًا إلى أحدهم بالهاتف:«هل تعتقد بأنني أحمق؟».

«لا اطمئن فأنا لم أفوت هكذا أمر»

« لا يد لي بالقضية».

«هل بإمكانك أن تقفل الآن لقد جاء أصدقائي».

مغلقًا هاتفه، والابتسامة كست محياه:«مايكل حمد لله على سلامتك».

«أي سلامة تتحدث عنها؟ سأصبح كـ».

ستيثيام ضاغطًا على يد صاحبه مايكل:«لنركب هيا».

وناطلس خلفهما وقد فهم المقصد من الحركة واختار الإنسحاب عنهم:« يا أصدقاء أنا سأستقل الحافلة في نهاية الطريق فأمي قلقة عليَّ».

طوم وكأن داخله سينفجر من الضحك «سلم على والدتك».

ناطلس أومأ برأسه:«سأفعل»، وداخله تأجج حقدًا وكراهية لذاك الذي بينهما، صديقه مايكل، لقد كان صديقه قبل أن يجرحه وينزف قلبه حزنًا، وقبل أن يسلب منه نعمة النظر بوضوح إلى النظر الضبابي.

إحدى موظفات الاستقبال في مستشفى خاص في أحد الأحياء الراقية في المدينة نادت بأعلى صوتها:«سيدة ناندیني هناك اتصال هاتفي لك».

أتت السيدة بعد تركها للممسحة قائلة:«ألا تقللين من ارتفاع صوتك المزعج هاتي السماعة، مرحبًا من المتكلم».

«ناديني ما الذي أخبرتي المحققين به».

«سيدتي أقسم لكِ، لا شيء».

«تعلمين لو قلتِ شيئًا بأنه ليس بصالحك».

«أعلم يا سيدتي».

صمت مطبق على ناندیني في حين قهقهة عالية من الطرف الآخر.

انقطع الاتصال من قبل الطرف الآخر، متحولًا بعد ذلك وجه ناديني إلى مصفر شاحب، مرددة بداخلها:« الحاجة دفعتني لسافلة مثلك».

في الغرفة السابعة عشرة بمستشفى كوخيم، دخلت سلمى وبالاك وجون بدوره أقفل هاتفه بسرعة هائلة: «أوه لقد أخفتماني».

بالاك: «لقد طرقنا الباب ألم تسمعنا؟».

جون: «إن رأسي لا يجعلني أركز سوى على الألم وحده، كالرامي الباحث عن هدفه.»

سلمى والحيرة تملأ كيانها «هل أخبره أو لا؟ إن لم أخبره سيعتقد بأنني أريد الفضل لي وحدي بالقضية».

جون: «سلمى سلمى».

بالاك غامزًا لجون: «هل تريدان شيئًا، بعضًا من الخصوصية».

سلمى: «أبدًا، إنني أسمعك ياجون».

جون: « ما الذي وجدتماه في منزل أنطونيو».

سلمى: «من الذي أخبرك أننا ذهبنا إلى هناك».

جون: «بالاك».

بالاك: «أنا لم أفعل».

جون ضاحكًا بثقة: «بلى أنت، ما هذا أصبحت كثير النسيان».

بالاك: «صحيح لا أعلم ربما».

جون:«هيا يا عربية أخبريني ما الذي وجدتماه».

سلمى:« فقط قمنا بالتصوير ورأينا زوجته».

جون:«هل الصور معكما».

بالاك:« نعم أقصد إنها بالكاميرا ولم أحمضها فقد جئنا من منزل أنطونيو إليك مباشرة».

جون:«حمضها وأجلبها لي».

بالاك:«حاضر».

جون بسخرية :«وأنتِ يا عربية ما الذي تفكرين فيه؟».

سلمى:«لا شيء، إنني أشعر بالجوع هل تمشي معي يا بلاك لنأكل شيئًا في كافتيريا المستشفى».

نظر جون إليها قائلًا في نفسه:«بلى هناك شيء قمتِ بإخفائه عني».

بالاك:«نراك لاحقًا يا صديق».

في أحد نواحي قرية كوخيم، يوجد منزل ريفي، ذو مدخنة في أعلاه، وكأن شكله صورة مقتطعة من فيلم كرتوني، توجد على جدرانه الداخلية مجموعة من صور لهتلر ومقولاته الشهيرة وللجيش النازي ولتحية النصر الخاصة به ولعلامة النازية.

هناك يقبع عجوز بالسبعين من عمره يكتب مذكراته قائلًا فيها:«سيدي وعدتك بأن أنتقم من جميع مَن قذفك بالسوء وحكم عليك وأنهى حكم بلادنا القوية، لا تعتقد بأني أصدق بأن قائدًا شجاعًا مثلك مات منتحرًا، لقد قتلوك وقتلتهم فلم يتبقَ لي سوى القليل وسألحق بك قريبًا، سيدي إنني خَجِلٌ جدًا من أن أخبرك بأن الحمقى قد صدّقوا بأنني مصاب بالزهايمر ولا أستطيع منع نفسي من الضحك، أنا آسف سأكمل لاحقًا بعد أن أخطط لآخر مهمة لأجلك، سأتصل بابني البار».

عند الساعة 2:23 دقيقة مساءً، في كافيتريا المستشفى جلست سلمى وبالاك حول طاولة مليئة بالطعام الذي لم يُأكَل منه إلا القليل جدًا.

بالاك:«لم تأكلي!».

سلمى:«الحمد لله لقد شبعت».

ناظرة إليه بحزم :«بالاك ما لون ثوب إيفانكا الذي كانت ترتديه ؟».

بالاك:«أزرق فاتح».

سلمى:«انظر لعينيّ فمن غير المعقول بأنك لا تذكر هل اتصلت بجون أو لا».

بالاك:«أنا حقًا لا أذكر، أشعر بأن رأسي مشوش لا أذكر بأنني اتصلت عليه لكنه قال بأنني هاتفته إذًا أنا أثق به.

سلمى:« لا بأس حصل خير، حسنًا لنذهب إلى مختبرك أريد رؤية جميع الصور السابقة واللاحقة».

بالاك ممسكًا بيدها:«انتظري أريد أن أتحدث معكِ بشأن أمر ما».

سلمى تعود لمقعدها:«تفضل إنني أسمعك».

«عديني بألَّا تخبري جون».

«أعدك».

«أشعر بأن جون معجبًا بكِ، فلقد كانت نظراته الطويلة إليكِ خير برهان على ذلك، وحديثك الأخير معي عنه يوحي بأنكِ لا تثقين به وغير مبالية بمشاعره».

«إنك تضحكني».

«دعيني أكمل».

«أكمل بسرعة رجاءً فلدينا عمل ننجزه».

«جون وحيد وصديقي منذ سنوات؛ فهو طيب وعكس ما ترينه فقط أعطيه فرصة ليكون شجاعًا في حبه لكِ».

« أتعلم أمرًا إنني تألمت من الحب بما فيه الكفاية، وثقت بأحدهم ثقة عمياء، جعلته روحي التي أحيا بها، وهبته الصدق والأمان بجانبي فما الذي وهبني إياه سوى أبشع كذبة سمعت بها، هل تقفل هذا الحديث رجاءً لأنني بدأت أفقد آخر قوة لدي».

« لا بأس أنا آسف».

«سأحاسب بدلًا عنك».

«حاسبي فليس لدي إلا عشرة يورو لتعبئة وقود للسيارة».

خرجا من المستشفى وركبا السيارة وسلمى قد عادت لها الذكريات الحزينة من جديد، وكيف اكتشفت بأن أكثر شخص

أحبته حطم فؤادها البريء وكسر جناح السعادة التي أرادت التحليق به برفقته، سلمى لم تُرِد يومًا هذا الطريق وهذه النهاية الحزينة، أرادت نهاية سعيدة كالتي تسمعها بالحكايات، الأمير تزوج بالأميرة وعاشا بسعادة وهناء. رسمت مع حبيبها أليكس حياة لا تكدرها شوائب الظروف القاسية والعادات والتقاليد البالية، بعد عدة سنوات من الوعود بالحب الأبدي، والمشاعر الصادقة، وجدت طعنة قاتلة، تعالي يا فتاة ما الحب إلا كلمة واهية، لا معنى لها في زمن الترف والرفاهية، وذلك عندما رأت بأن بعد كل ذلك الوقت وتلك العجوز الحانية، ليست سوى صيد ثمين لنفس أليكس الطامعة، عاملها وكأنها والدته سنوات طوال عرَّفها عليها، وتجاذبا أطراف الحديث كثيرًا وصدمت بعد ذلك بأن ذلك الرجل النبيل ليس سوى شيطان استغلالي ومحتال، أراد من تلك العجوز المال وجميع ما تملك ليودعها بعد ذلك في دارٍ للمسنين، وعندما عرَفت سلمى تلك الحقيقة، واجهته فصدمها قائلًا: «أجل وسنحيا معًا حياة هانئة».

فما كان منها إلا أن تركته خلفها بدون أي كلمةٍ تالية.

سوى نزف أغدق قلبها قناعة بأن لا تحب مرة ثانية.

في منزل أنطونيو المتواضع توجد فتاة رائعة الجمال ورشيقة جدًا، إنها إيفانكا أجل، وتحادث والدها قائلةً:«أنا آسفة يا أبي لم يحدث ما أردته، إن الحياة بائسة هنا، عندما تهدأ الأمور سأزورك لا تقلق عليَّ » صمتت لحظة منصتة لوالدها «أجل أتفهم ما تعنيه تمامًا، وداعًا».

أغلقت الهاتف، ونظرت مليًا لوجهها في المرآة:«الحياة لم تعطِني ما أحب وسأجعل من أخذوا ما يريدون من الحياة بؤساء مثلي تمامًا».

سمعت طرقًا على الباب، ذهبت جريًا إليه وفتحته قائلة لمن أمامها:«أريد أن تجلبي لي مولودًا من المستشفى».

«سيدتي أنا لا أستطيع».

«بل تستطيعين لأجل أبنائك في لاكنو».

احمرَّ وجه نانديني غضبًا وهدأت مرغمةً.

«فكما تعلمين عائلة زوجي تملك المستشفى الذي تعملين فيه وإن قلت لهم اطردوها سيطردونك».

«أرجوكِ لا تفعلي فليس لدي مصدر رزق سواه».

«وأيضًا والدي يرسل مالًا كل شهر لأبنائك الخمسة؛ راهول وأديتيا وريشاب وتيتو وو ومن الخامس؟».

«سنسكار».

«مقابل ماذا يا نانديني».

«مقابل أن أبقى صامتة».

«وأيضًا جلب الطفل لي».

«سأفعل ما تأمريني به يا سيدتي».

«يعجبني ذكاؤك».

«متى تريدينه».

«بعد غدٍ الساعة الرابعة صباحًا لأقول لحبيبي الغبي بأنني ولدت وتحملت الألم وحيدة».

أومأت نانديني بالموافقة، ودخلت لمنزلها مغلقةً الباب خلفها باكية:«إلى متى سأحتمل لأجل أبنائي العاقين لي، سامحك الله يا أكبر أبنائي (راهول)عندما حجزت لي تذكرة لأرحل بعيدًا عنك إلى هذا البلد الغريب حتى لا يعايرك أصدقاؤك بي؛ أم راهول بنغالية الأصل، وحظي السيئ العاثر وضعني تحت رحمة هذه النازية الشريرة، فعندما علمت بحالي وجدتني خادمة مطيعة واستغلتني شر استغلال، والآن تريد مني أن أسرق فلذة كبد أحدهم، هل يا ترى سيمحو هذا العناء في آخر مهمة لها هنا، آمل ذلك فليس لدي خيار سوى طاعة أمرها».

كم من أمٍ على هذا الكوكب الأزرق تحتمل ما لم تتحمله الجبال الشامخات لأجَل من؟ لأجل أبنائها في حين أن أبناءها أخذتهم الحياة بعيدًا عنها»اجعلوا لحظة لأمهاتكم فسيأتي وقت تتمنون ثانية لرؤيتهن بجانبكم».

ضباب في كل مكان، وأناسٌ يملؤون الأرجاء، طرقًا شديدًا على الباب وأصواتًا تتعالى:«تعال يا ناطلس إن صديقك هاري يحتضر».

«قم بتوديعه».

«لا وقت لديك».

«يريد رؤيتك».

«أصدقاؤك قتلوه».

«انتقم، انتقم، انتقم».

نهض ناطلس فزعًا من فراشه:«آه يا إلهي أكاد أختنق إنه كابوس فضيع».

أغمض عينيه مرددًا:«لقد فهمت رسالتك يا هاري سأنتقم لك، وألحقهم جميعًا بك».

مدَّ يده إلى جانب سريره باحثًا عن نظارته، ومحدثًا نفسه قائلًا:«يعتقدون بأنني لا أعرفك، فأنا أعرفك قبلهم وقبل انتقالك إلى هنا، لحقت بك لأنني كنت مشتاقًا إليك، وأولائك سلبوا روحك البريئة منك، قبل أن أراك».

بدأ بالضحك معقبًا القول:« أنا لست مجنونًا يا هاري فأنا أشعر بروحك تدور حولي وترقبني، أنت طيب القلب تريد مني أن أسامحهم لكنني لن أفعل، فقد جعلوني وحيدًا بعد رحيلك».

في فندق زيوس المحاذي تمامًا لنهر المزول، حجزت سلمى غرفة لها فيه، لم يكن الفندق كفنادق هانبورغ العالية جدًا والفارهة، بل كان فندقًا بسيطًا مكونًا من طابقين فقط ما تميزه، إطلالته على النهر وهدوئه وكأنه فندق لا يقطنه أحد سواها، لم تستطع النوم تفكر في أحداث اليوم كيف كانت الغرابة تملأ كل جزءٍ فيها ابتداءً بقصة بالاك وانتهاءً بالصور في المختبر المتاشبهة كثيرًا وكأنها التقطت بيوم واحد.

أرادت فتح النافذة لاستنشاق الهواء اللطيف، وفعلت ما أرادت؛ رأت حركة القوارب المضيئة فوق النهر، وانعكاس الأضواء عليه وكأن هذا المنظر أخذ وقتًا مستقطعًا لتسعد قليلًا بعيدًا عن حياتها الشاقة.

رن هاتفها فليس الوقت الملائم بأن يرن ويرجعها للواقع الأليم والانشغال الدائم ردت: «جون! أهلًا بك».

«هل أيقظتك من نومك».

« لا لم أنم».

«كنت مترددًا في الاتصال بك، المهم أيتها العربية، ما الجديد

في القضية؟».

«لا جديد، صور متشابهة وحلقات مفقودة».

«هل تعتقدين مثلي».

«ما الذي تعتقده أنت».

«بأن لا حل للقضية».

بسخرية «هل يعني هذا أنك مستسلم».

«أبدًا، لكن ليس لدينا متسع من الوقت فلابد أن نعود إلى هانبورغ».

«عد أنت سأعمل عليها وحدي».

«كفاكِ عنادًا، نحن دائمًا نخسر في حل القضايًا تعودي على ذلك في هذه المهنة».

«إن كنت جبانًا أنا لست مثلك، المعذرة غلبني النعاس سأخلد إلى النوم».

بينما سلمى أغلقت الخط دون أن تسمع جوابًا من جون، كان جون يقول في نفسه:«ستودين بحياتك وأنا لن أسمح لذلك بأن يحدث».

في الصباح التالي وذلك عند الساعة السابعة يُسمع طرق يكاد يحطم باب منزل ستيثيام:«حسنًا أنا قادم».

كان الطارق ناطلس وبدأ بالحديث لاهثًا:«ستيثيام مايكل انتحر».

«ماذا؟ لا لا هل تعي ما تقول؟ «.

«إنني أقول الحقيقة فعندما جئت لآخذ دوائي منه وجدت عائلته تنوح وتبكي عند جثته».

ستيثيام مصدومًا: «لن أصدقك».

«أقسم لك».

«قلت لن أصدقك، ارحل عن منزلي».

«سأرحل وستعلم بأنني لا أقول سوى الحقيقة».

ستيثيام مغلقًا الباب بشدة والدموع لا تكاد أن تنقطع عن عينيه « مايكل لاااااااا».

ناطلس واقفًا عند باب منزل ستيثيام الخشبي معدلًا نظارته:«كان سطحُ الأرضِ مزدحمًا، زقزقة العصافير تروق لي».

في مكتب التحقيقات الخاص بقرية كوخيم الصغير جدًا بالنسبة لباقي المكاتب المجاورة الأخرى، الواقع في جادة آند الهادئة جدًا، يوجد محقق حادَّ الرؤية لدرجة أن العملاء من أرقى المدن وأفخمها يأتون إليه، ولسمعة هذا المحقق الجيدة في حل القضايا سريعًا من اختفاء أو اختطاف أو تتبع أثر أحدٍ ما.

أخبر بالاك سلمى عن هذا المكتب وسمعة المحقق عالية الصيت فيه وثقته في أنه من المؤكد بأن المحقق لن يتوانى عن مساعدة سلمى لحل هذه القضية المعقدة. رأت سلمى الثقة بهذا المحقق تبرق في عينيّ بالاك وقررت طلب المساعدة لأن في الحقيقة لا خيار آخر لديها خصوصًا أن زميلها جون يرقد بالمستشفى.

سلمى: «إذًا بالاك ما الذي ينبغي علينا فعله أولًا؟»

بالاك: «نذهب فورًا».

تتخلل أصابعها شعرها البني: «آسفة أعلم بأنك مُحَرَجٌ جدًا في الدخول لشقتي».

بالاك: «لا بأس فالعامل في الفندق قريبٌ لي ولن يخبر أحدًا».

ملأت وجهها علامات الجدية: « كفاك حمق».

«إنني أمازحك، وإن رأوني سيعتقدون بأنني والدك».

«هيا هيا اشرب كأسك ولنذهب».

منتفضًا من مقعده: »أنتِ قاسية يا فتاة».

«في هذا اليوم الثاني عشر من أكتوبر في 2008من الميلاد، قتلت أحدًا آخر في الحقيقة كنت خائفًا جدًا، وعندما اقتربت من الضحية بعد خطوات قليلة جدًا أحسست بأنني أستمد الشجاعة من عينيها، كما القمر يستمد ضوءه الجميل من الشمس، بصراحة أحببتها جدًا ولم أستطع أن أدع شخصًا مثل هذا يلمس شعرة منها، كنت أراقبه ذاهبًا إليها وكنت حينها أشتعل غيرةً منه، ولكنها على الرغم من أنها اختارته زوجًا لها ولم تخترني وأخبرتني بسبب الموافقة عليه، عزمت على تصبير قلبي، وأن النهاية ستأتي قريبًا ولو اضطررت إلى قتله، عانيت كثيرًا في االبداية في تقمص شخصية متسول حقير، يا إلهي إنني أضحك على شكلي حينها كيف احتملت تلك الملابس الرثة شهورًا طويلة، حتى إنني اعتدت عليها، وإن يكن فقد لقنت ذلك الأحمق درسًا قبل قتله، وكذلك فعلت بضحيتي الأخرى لأجلها سأحتمل تأنيب الضمير هذا الذي يقتلني يومًا بعد يوم إلى أن يموت التأنيب للأبد.»

رن هاتفه المحمول وترك القلم على الطاولة، الذي تدحرج إلى أن وقع أرضًا، فقال مشبكًا أصابع يديه:«أتمنى أن ينتهي هذا الكابوس سريعًا لأصحو في حجر حبيبتي وابني نائمًا أمامي في سريره الصغير».

أخذ برهة وأمسك به بعدما توقف عن الرنين ونظر إلى شاشته(مكالمة فائتة)من رقم ليس مسجل اسم صاحبه.

وابتسم ووضع الهاتف جانبًا.

«لم يُجب ربما كان منشغلًا، من المؤكد أنه سيرى الرقم ويتصل بنا ثانية ».

«لا داعي لذلك يا أمي فابنك بعد الزواج بتلك النازية نسينا وتبرأ منا لأجلها لأنه مجنون ليس إلا».

«صهٍ، لا تقل ذلك عن أخيك الأكبر سنًا منك».

«صحيح أكبر سنًا مني ولكنه أصغر عقلًا من عقلي من يترك الثروة والعائلة لأجل نازية حمقاء».

«أنت كوالدك تمامًا ولا تعلم للحب قيمة».

«وابنكِ مثلكِ تمامًا يا أمي، عاشق، لكن الفرق بينكما أن قدركِ أجمل بعد عشقكِ لفقير انتهى بالزواج بأبي الغني فأنتِ أوفر حظًا منه».

«تاتسيوني مارتنيز أغرب عن وجهي».

«أنتم هكذا تكرهون الحقيقة والصراحة دائمًا، حسنًا سأذهب وأنتِ واصلي الاتصال بذلك التافه».

قرعت الخادمة باب غرفة الوالد، الأبيض والكبير جدًا وأردفت

سريعًا قائلة:«سيدتي إن السيد بانتظاركِ في مكتبه ويقول لا تتأخري الأمر مهم جدًا».

نهضت السيدة من كرسيها الفاره وراقبها ابنها الأصغر بتمعنٍ، ومشت بخطوات ثابتة إلى زوجها ميشيل الذي تزوجته صغيرة ومرغمة على الزواج به لأجل سداد دين والدها لدى والده في تلك الحقبة.

«لقد مضى وقت طويل على رؤيتكِ يافورونيكا».

«بسبب سفرياتك الكثيرة، لهذا السبب لم تعد تراني بكثرة وهذا الأفضل لكلينا » ظهرت غصة في كلماتها «مالأمر الذي طلبتني لأجله».

«الأمر يختص بابننا الأكبر أنطونيو».

تحدثت باهتمام واضح على وجهها المليء بالتجاعيد: «هل هو بخير؟».

«فورونيكا أنتِ امرأة قوية و».

ازدادت نبضات قلبها وكأنها تشعر بشيء سيئ سيقال: «تحدث ماذا حدث لابني؟».

أخذ ميشيل تنهيده قوية: «لقد وُجِد مقتولًا قبل يومين في كوخيم الألمانية».

أشارت له بيدها ليصمت، ثم قامت من مقعدها المقابل لزوجها

ثم أدارت ظهرها له وقبل خروجها من الباب قالت: «لقد قتلته يا ميشيل، قتلت ابنك».

علا صوت السيد ميشيل قائلًا:« وإن كانت الأسباب أقوى مما حدث بيني وبينه فلن يصل الحد إلى أن... «.

خرجت السيدة قبل أن يكمل السيد كلامه، والحزن بلونه الأسود خيّم على جسدها بظلامه.

الصداقة مسمى جميل يحمل الوفاء والتضحية في طياته، عندما يرحل أحد الأصدقاء تكتنفنا الأحزان على فراقه، والندم على اللحظات التي كنا فيها بعيدين عنه، والذكريات الجميلة في كل مكان كنا معه، نمر على طريق، نرى الرفيق الراحل أمامنا وكأنه سراب في الصحراءِ ينادي الظمآنَ، نشكو حزننا لمن وهل هناك شخص آخر يداوي الجراحَ؟.

اختار ستيثيام إغلاق جميع منافذ الضوء في غرفته، اختار الوحدة والانعزال عن الناس، بعدما تأكد من خبر انتحار صديقه المقرب، كيف لا! وقد عاشا طفولتهما وشبابهما معًا، تمنى أن تكون كهولتهما معًا أيضًا لكن..! قدر مايكل في الموت كان أسرع، تاركًا خلفه قلبًا متحطمًا، على الرغم من الاختلاف الكبير بينهما في الميول والأفكار والطباع، فإنه لم يكوّن فجوة بينهما إلا شقًا بسيطًا بينهما يظهر جمال ووثاقة صداقتهما.

ستيثيام وحيدًا في غرفته يدور كالمجنون في أنحائها، باكيًا، ومرددًا: «كان عاشقًا للحياة، كيف استسلم؟ كان عاشقًا للحياة، كيف استسلم؟؟»

سلمى وبالاك وصلا إلى الوجهة المنشودة(مكتب تحقيق خاص).

«هل تستطيع القراءة يا بالاك، إن الاسم هنا مكتوب بالأوردية؟».

« حقًا، لا أعرف لا اهتمام لدي باللغات».

«ولا أنا، لكن انظر يبدو أن أحد العمال في هذا المكتب يتحدث الأوردية بمعنى باكستاني ربما أو هندي كناندیني أتذكرها تلك المرأة غريبة الأطوار».

«أجل أذكرها، ومازلت أعتقد أنها تخبئ شيئًا».

«جيد أنت تماثلني الرأي».

في أثناء حديثهما، رن هاتف بالاك رنينًا لا يكاد يتوقف، فقد كانت النغمة لفرقة لاتينية ومناسبة تمامًا لرقصة السامبا البرازيلية.

«مرحبًا جون».

والصوت بدا واضحًا وعاليًا من الطرف الآخر، «نسيتماني ولم تأتيا لزيارتي، لقد انتظرتكما طوال فترة الظهيرة والآن حل المساء، أين أنتما؟».

«نحن في مكتب للتحقيق».

«لماذا».

«نريد المساعدة من المحقق الشهير بالصائد».

تعرق وجه جون ويده الممسكة بهاتفه المحمول: «عودا أنا سأخرج الآن وسنعمل معًا عليها».

«دعنا نحاول ربما نحل القضية وتعودان إلى هانبورغ فمديركما هاتف سلمى البارحة وكان غاضبا، لأنكما لم تخبراه بمستويات القضية».

بحزم «أنا آمركما أن تتخليا عن هذه الفكرة، ولا عليك سأخبر المدير وسيتفهم وضعنا».

«لك ما تريد فنحن عند باب المكتب ولم ندخل بأي حال».

«أنا بانتظاركما».

نظرت سلمى إلى بالاك وعلامات الاستفهام تدور حول رأسها «لقد أغلقت هاتفي لئلا يفسد عليَّ الأمر، وها أنت قمت بالواجب ما الذي يقوله ».

«لنذهب إليه يقول إنه سيخرج من المستشفى».

«لنحاول مع هذا المحقق أشعر برغبة في العمل معه».

«أنتِ لا تعرفين جون عندما يغضب وأنا أعرفه ولا أريد رؤية وجهه غاضبًا بسببي».

بغضب «جون، جون».

من خلال جهاز الرد الآلي للهاتف الأرضي بعد الصافرة لمنزل أنطونيو: «أهلًا حبيبتي أنا منشغل الآن، سأحاول الاتصال بكِ الليلة أو المجيء للمنزل لأنني مشتاقٌ لرؤيتكِ كثيرًا، مع السلامة».

وسيدة المنزل(إيفانكا) بدورها تستمع للحديث ضاحكة وهي مستلقاة على سريرها ملوحةً بقدمها «حبيبتك ! وهل أحب ضعيفًا مثلك، كل شيء كان مخططًا له مسبقًا، آه يا أيها الرجال عقولكم كعقول الأطفال، يُضحك عليكم بكلمة معسولة وحركةٍ مدروسة، قريبًا جدًا سترى ابنك الذي لم تلده حبيبتك، سأتصل بتلك البلهاء لعلي أسمع أخبارًا تسر قلبي».

نهضت من سريرها ووقفت أمام المرآة جذبها أحمر شفاه قرمزي، هتفت لنفسها كليمات لا تكاد تفهم، بالأصح هي لم تفهم ما الذي قالته سوى أنها تعاني من هوس الانتقام المزروع بداخلها.

أمسكت بهاتفها أدارت عدة أرقام قائلةً للطرف الآخر(نانديني) فور سماع صوته:«أتوقع أن أسمع أخبارًا تسر قلبي».

بصوت متقطع:«هناك امرأةٌ حامل موعد عمليتها القيصرية غدًا، عندما تلد سآخذ الطفل وآتي به إليكِ وهنا تنتهي مهمتي».

علا صوت إيفانكا:«ومن سيعتني به؟ أنا!! مستحيل »انخفض الصوت قليلًا:«أنتِ أم لخمسة أبناء ومن المؤكد تعلمين كيف ترعين الطفل، سأقول لحبيبي بأن جارتي اللطيفة ستساعدني، أليس كذلك».

بتردد واضح: «سيدتي أنا خائفة».

«وهل تخافين وأنا معكِ؟، لنرجع قليلًا أتذكرين كيف أفلتنا من قصة قتل تلك العجوز المختلة التي أنتِ الآن تسكنين شقتها».

اختنقت بغصة :«كم من المدة أعتني بالطفل لأنني بعدها سأعود إلى موطني».

«فقط عدة أيام ربما يوم أو يومين».

«أتمنى ذلك».

«أراكِ غدًا مع الطفل «.

«حاضرة».

شقت سيارة بالاك المرسيدس من الطراز القديم طريقها إلى الوجهة التي من المؤكد بأن بالاك وسلمى سيقصدانها بأمر من جون، لأخذه من المستشفى، هذا ما تعتقده أنت وأنا كذلك لكن؛ عندما قامت سلمى بتصفح الصور المتعلقة بأنطونيو من حياته العادية ورحلاته الصيفية إلى موته مقتولًا قررت إصدار أمر حازم إلى بالاك بالذهاب إلى المختبر للتأكد من شيء تعتقد بأن هذا الشيء قد اختار موعدًا متأخرًا في ذاكرتها.

بداخل المختبر قامت سلمى بترتيب الصور على حسب التواريخ التي ذكرتها زوجة أنطونيو وتابعت الصور بإمعان.

«بالاك هل من الممكن أن تجلب لي الماسورة التي قُتِل بها؟».

«ما الذي ستستفيدنه؟ لا بصمات عليها سوى بصماته».

«نسيت أمر الغراء، إنها طريقة تقليدية قرأت عنها تفيد في إخفاء البصمات عند الإمساك بشيء ما بعد وضعه على يدين عاريتين».

حك بالاك ذقنه:«بمعنى أن المقتول قد أمسك الماسورة أولًا ثم وضع الغراء القاتل في أصابع يديه وقتله بها».

«صحيح انظر لجميع الصور هناك شيء مشترك حتى في آخر

الصور التي التقطناها».

«صحيح الماسورة موجودة فيها».

واضعة يديها على عينيها: «كثرة التفكير تدعوني إلى الجنون».

«ما رأيك أن نحاول أن نأخذ الماسورة الأخرى التي في منزله».

«هل بإمكانك أن تراقب لي إيفانكا وتعرف مواعيد دخولها وخروجها من المنزل؟».

«هل تفكرين بفعل سيئ».

غمزت له: «أعتقد ذلك».

«وجون».

«سيعيق عملنا فهو مريض كما تعلم».

«دعيني أفكر».

ممسكةً بيديه: «لا داعي للتفكير فقط ساعدني وأغلق هاتفك أولًا».

«وإن غضب جون ستتحملين الأمر».

بكل ثقة: «لا بأس سأحتمل».

عند خروجهما من المختبر والعزم على تنفيذ ما اتفقا عليه سمعا أحد العاملين بالقسم يقول إن أحد الشبان هذا الصباح قد انتحر وبأن طريقة انتحاره غريبة لحد كبير، وقفا بجانبه فصمت وبقيا يحثانه على المتابعة، فاسترسل قائلًا: «بجانب سريره كان محزِّمًا أمتعته

وكأنه يريد الذهاب لمكان ما، وبجانب النافذة وُجدَت قداحة وهو غير مدخن، والحبل مربوط بظاهر النافذة وآخره قد قطع بالنار، وغراء كثيف قد غطى الحبل بكامله، قالت والدته: «بأنه جاء مجهدًا وحزينًا وقال لي: أمي لا أستطيع النوم، كالعادة وكالعادة أيضًا أخذ قرصًا منومًا مني ودخلت غرفته بعد برهة فوجدته نائمًا هذا كان في الساعة السادسة والخمسون دقيقة صباحًا»، ثم بدأت والدته تبكي بكاءً مريرًا قائلة: «لم أتوقع بأن يقتل نفسه فقد كان محبًا للحياة».

وكذلك قال صديقه ستيشام عندما قمنا بالتحقيق معه الحديث ذاته: «كان محبًا للحياة».

سلمى: «غراء حيث لا بصمات يعني قُتِل الشاب ولم ينتحر كأنطونيو تمامًا».

بالاك: «هل تعتقدين بأن لتلك القضية علاقة بهذه؟».

«أجل ويوجد لدي حدس قوي بهذا الخصوص».

«إذًا إن عرفنا قاتل أنطونيو سنعرف قاتل الشاب أيضًا لأنه..».

«الشخص ذاته».

في مدينة بليرمو الإيطالية تقطن عائلة مارتنيز العريقة التي في ذلك الوقت تتلقى العزاء والمواساة من الأسر التي تماثلها في الطبقية.

شخص١ :«أقدم عزائي لك يا سيد ميشيل».

السيد:«شكرًا لمجيئك».

شخص٢ هامسًا للسيد:« سمعت بأنه قد تزوج بنازية وتخلى عنكم لأجلها، أرجو ألا يكون سببًا في قتلك لابنك».

السيد شادًا على يد المتحدث:«إن فعلت ذلك من سيلومني؟ لكن عندما أفكر بقتل أحد ما سأقتلك أولًا إن لم تلتزم الصمت».

تاتسيوني:«والدي لمَ تبدو كئيبًا وضعيفًا، حاول أن تظهر شيئًا من القوة أمامهم وأن شيئًا كهذا لا يكسرك ربما بعض العوائل استهدفت أنطونيو لتدميرك فهل ستسمح لهم».

السيد ملتفتًا لابنه:«إن كانت لإحدى هذه العوائل يدًا في قتل أنطونيو سأدمرها تمامًا».

«ما زلت تحبه رغم ما فعله بنا، ولكن ماذا لو علمت بأن زوجته النازية حامل؟ هل ستحبه أكثر أو تكرهه؟».

غيَّر السيد من جلسته قائلًا لابنه تاتسيوني الجالس بجانبه:

«سأعطي حفيدي حقوق والده، لكن تأكد من أنه ابنه أولًا، فأنا لا أثق بتلك الألمانية».

«كان أنطونيو طيبًا وابنه لا يستحق حياة الشوارع».

«سأخبر أمي بذلك، أتمنى أن تقتنع بهذا العمل وبأننا لم نقتل أخي، فهي تعتقد عكس ذلك».

بعد لحظات وبعد خطوات من موقع العزاء قابل تاتسيوني والدته حزينة في غرفة أخيه، وقال لها ما قاله له والده، فردت قائلة: «وأين أنتما عنه عندما كان يعيش حياة الفقراء يوميًا؟».

«أمي لا تقولي هكذا هو أراد ذلك وفعل ما أراد».

«ولأجل إرادته هذه حرمتماه الحياة الكريمة».

«أماه سأجلب لكِ حفيدك ابن أنطونيو، سترين أنطونيو في وجهه وستنسين هذا الحزن أنا متأكد، سأسافر إلى قرية كوخيم الألمانية وأبقى هناك وعندما تلد سأجلبه لوحده بالطبع».

عند الساعة الواحدة والنصف عند مخرج المستشفى انتظر جون زميليه ليقلّانه منه، انتظارًا فيما يقارب الساعة والنصف وأيٌّ منهما لم يجب على هاتفه فكلاهما قد أغلقه بعد عدة محاولات منه في الاتصال بهما.

ملَّ من الانتظار الطويل حتى قرَّر أن يستقلَّ سيارة أجرة للذهاب بها إلى قسم مكافحة الجرائم التابع للقرية، اعتقادًا منه بأنهما هناك، فجون لم يكن يعرف القرية جيدًا فقد كان جلّ ما يذكره الإنارات المميزة على شكل أوزة بجانب القسم، عندما قال لسائق الأجرة:«خذني إلى مبنى قسم مكافحة الجرائم» ظهرت علامات الجهل بالموقع على وجه السائق:

«سيدي لا أعرف موقعه هل بإمكانك إخباري عن شيء مميز حوله؟».

أشعل جون لفافة التبغ قائلًا:«بجانبه إنارات على شكل أوزة».

ضحك السائق قائلًا:«نحن في وضح النهار أين نجد هذه الإنارات؟!، سأحاول الاستعانة ببرنامج جوجل للخرائط قلت لي ما اسمه؟».

نفث جون دخانًا كثيفًا:«قسم مكافحة الجرائم، إن لم تجده سأستقل سيارة أخرى لأنني في عجلة من أمري».

« الاسم مخيف، سأجده بطريقة أو بأخرى لا تقلق».

بعد تجوال بالسيارة بما يقارب النصف ساعة في شوارع القرية وجدا أحد الأشخاص في العقد الثالث من عمره أخبرهما بأن المبنى الذي يبحثان عنه في هذه الأنحاء قد تم تغييره إلى شارع لنكون، أي بما يقارب خمسة عشر كيلو مترًا.

شكر السائق الشخص على مساعدته وانطلق بجون إلى الوجهة المنشودة ريثما جون يشتعل غضبًا من الداخل على سلمى وبالاك اللذين تمردا عليه.

خرج جون من سيارة الأجرة بعدما دفع لصاحبها العنيد أربعين يورو، عندما دخل إلى القسم وجد مجموعة من الأشخاص وسألهم عما إذا رأوا سلمى وبالاك هذا الصباح.

أخبره أحدهم قائلًا:«دخلا المختبر وخرجا بسرعة عندما سمعا قصة الشاب المنتحر».استرسل المتحدث في الحديث وحكى لجون كامل القصة بعدما سأله جون عن وقائع الحادثة كما حكاها لسلمى وبالاك.

بدأ وجه جون بالتعرق وتحدث إلى نفسه قائلًا:« إلى متى سأحمي أخي؟!».

وهرول مسرعًا إلى دورة المياه، أمسك هاتفه بيدٍ متعرقة وبصوت لا يكاد يسمع:«هل أنت من قتل الشاب هذا الصباح».

رد الطرف الآخر:« كنت واثقًا بذكائك، لقد علمت بأنك ستعرف

بأنه أنا من فعل ذلك».

«أخي كفاك جنونًا فأنا لن أستطيع حمايتك بعد الآن».

«هل ستخلف وصية والدتنا وتتخلى عن حمايتي كما تخلى والدنا عنها».

«أنت تجعلني بجرائمك الفظيعة أموت مرة بعد مرة».

«جرائم !!! أوه يعني ذلك بأنك أيضًا تعلم بأنني قتلت أنطونيو».

«من اللحظة الأولى، عندما رأيت صورة الفتاة التي تحبها».

«أليست جميلة؟».

« أي قلبٍ قاسٍ تحمل؟ لقد جعلت من طفلها الذي سيولد في أي لحظة يتيمًا».

«إنه ابني، فلقد ضاجعتها عندما سافر لجنوة».

«لم تدع لي شيئًا أتحدث به معك».

«أنا لدي شيء تلك الفتاة الجميلة التي تدعى سلمى، تبحث كثيرًا وهذا الأمر يوترني أتمنى ألا أضطر لقتلها».

«أخي دعها وشأنها».

«فقط أبعدها عن طريقي، أخي سأعلمك أمرًا قبل أن أغلق أحبك كثيرًا، عودا إلى هانبورغ قبل أن يزداد عدد الضحايا».

بقيت سلمى وبالاك في سيارة المرسيدس، وذلك عند الساعة الثالثة مساءً، يراقبان مداخل ومخارج المبنى الموجودة فيه شقة أنطونيو.

سلمى محاولة تدفئة نفسها بيديها:«هل تشعر بالبرد الذي أشعر به؟ يا الله هل يعقل بأن الشتاء سيحل قريبًا؟».

«وأنا أيضًا أشعر بنسيم بارد؛ ربما لأن النوافذ مفتوحة، فضلًا أغلقي التي بجانبك، أعلم بأن سيارتي قديمة وليست أوتماتيكية حديثة كالتي لدى جون».

كانت تدير النافذة وتوقفت فجأة، والتفتت إليه قائلة:«نحن لم نأتِ برًّا أي جوًّا بدون سيارة؟».

ارتبك كثيرًا وحاول البحث عن كلمات تسعفه: «أقصد من المؤكد بأن لديه سيارة حديثة».

«إنك تخفي أمرًا عني».

بدأ بالاك بالتفكير في قرارة نفسه:«لو أخبرتها بأن جون يكذب عليها؛ ستكرهه وتقع في غرامي، فأنا وحيد ولست بوسيم جدًا، أما جون فمن المؤكد لديه صديقة، وإن لم يكن لديه سيجد بفضل

وسامته».

وجهر بصوته قائلًا: «عديني بأنكِ لن تخبري جون؟».

«أعدك».

«إن جون يعرف هذه المدينة الصغيرة شبرًا شبرًا وأتى إليها قبلًا ولقد رأيته في أكثر من موقع هنا مصادفة وغير مصادفة».

قطبت حاجبيها: «حقًا؟».

«أجل حتى إنه في أحد الأيام أصيب بحادث في ساقه لا أعلم سببه وكنت سأقله إلى المشفى وقد رفض رفضًا قاطعًا الذهاب إليه، إن لم تصدقيني انظري لساقه اليسرى».

« لا علاقة لي به، تابع المراقبة».

حدث نفسه: « ألم ينجح الأمر؟ أو أنها تحبه وتدعي اللامبالاة؟».

بعد ساعة من الانتظار: »بالاك انظر لقد خرجت إيفانكا ما بها تمشي بهذه السرعة؟».

«يبدو بأن لديها موعدًا ما؟ هل تودين أن نلحق بها؟».

«أجل وماذا تنتظر؟».

حرك بالاك السيارة وبدأ القيادة ببطء شديد خلفها حتى لا تنتبه لهما.

«بالاك لقد انعطفت يمينًا، أدر المحرك، أسرع قليلًا».

«سترانا، فالشارع خاليًا ولقد رأت وجهينا قبلًا».

«لن ترانا، توقف هنا خلف هذا الحائط».

«يا إلهي إنها تدخل محلًا لملابس الأطفال».

حدثت نفسها: «هذا إن كانت حاملًا».

جهرت بصوتها: «بالاك عد لمنزلها سريعًا سنأخذ الماسورة التي لديها».

«لماذا لا تخبريها بأنكِ تريديها منها».

«سأجيبك لاحقًا».

«إنني لا أفهمك».

عادت السيارة إلى أمام المبنى، وخرجت سلمى منها راكضة إلى الشقة، ومن حسن حظها، وجدت الباب ليس مقفلًا، ففتحته رويدًا رويدًا؛ تحسبًا لئلا يكون أحد بالداخل غيرها، رأت بأن الهاتف يصفر وبعده بدأ أحدهم بالحديث، لم تستطع سلمى عدم الاكتراث للصوت بعدما قال: « حبيبتي، لقد حادثني أخي، وحديثه غير مطمئن هذه المرة، إن كنتِ بالمنزل أجيبي».

حاولت سلمى الاقتراب من الهاتف والرد عليه، لكن رأت بأن في الأمر مجازفة، تراجعت إلى الخلف وبدأت في البحث عن الماسورة لكنها لم تجدها في المكان الذي التقطا الصورة فيه «ماهذا لقد كانت هنا».

سمعت بأن أحدهم قد فتح الباب وحدثت المفاجئة، رأت بالاك

يحاول التسلل إلى الداخل هامسًا بصوته :«سلمى أين أنتِ».

«يا إلهي كنت أعتقدك هي، ما الذي أتى بك؟».

«قلقت عليكِ وخشيت بأنك في ورطة ما».

«لنخرج حالًا قبل أن تأتي، لحظة هل وجدتيها».

حركت رأسها نفيًا.

عندما خرجا من الباب تفاجأ بأن نانديني آتية فرأتهما مبتسمة وقالت بالإنجليزية وشيء من الأوردية:« جئتما مرة أخرى، أ أ السيدة بالداخل».

ساد التوتر على وجهيهما:«لم نجدها».

وخرجا من المبنى بالكامل على عجالة من أمرهما، فإذا بإيفانكا مختبئة خلف إحدى المركبات القاطنة بذلك الشارع:«توقعت بأن تعودا، لو لم أشعر بأنها قد شككت بي، عندما رأت خل التفاح لوجدت الماسورة ولصرت في خبر كان».

ادعت بأنها لم ترهما من خلال تصرفاتها وواصلت طريقها بخطوات متثاقلة جدًا عكس ما كانت عليه قبل عدة دقائق.

هناك حديث يجول في قرارة سلمى:«ذلك الصوت ليس بغريب عليَّ أيعقل بأنه».

قاطع بالاك حديثها الداخلي قائلًا:« جون سيقتلنا، لنذهب إليه».

بحزم :«لن نذهب، أشعر بأننا سنكتشف شيئًا جديدًا».

«جئنا لأجل الماسورة فلم نجدها».

«أتريد الذهاب؟ اذهب وحدك سأبقى هنا».

«سأنتظر معكِ لنرى ما النهاية؟».

مرت دقيقة خلف دقيقة وساعة خلف ساعة حتى وقت انتظارهما خارجًا تجاوز مدة أربع ساعات زيادة على الوقت السابق، وهما لم يبرحا مكانهما، وبالاك لا يكف عن التذمر حتى أتى مجموعة من الرجال استوقفوا مركباتهم عند المبنى عندما نزلوا من مركباتهم بدا وكأنهم من المافيا الروسية من البزات السوداء التي يرتدونها، كان يقودهم رجل ذو بشرة بيضاء وشعر شديد السواد وكأنه الليل، يرتدي نظارة شمسية برغم أن الشمس قد غربت منذ ساعة تقريبًا، رأت سلمى بأن هذا فعلًا أحمق، ولم تعلم أن سببه الحقيقي هو إرادته في إخفاء بعض من ملامحه.

دخل ذلك الرجل المبني بعدما حدّث الرجال الذين خلفه باللغة الإيطالية أن يبقوا خارجًا.

سلمى وبالاك كانا يراقبان الموقع بإمعانٍ وانتباه شديدين، وكلٌّ منهما يختلج صدره بعبارة ما الذي سيحدث لاحقًا؟.

سلمى تحدث نفسها:«هل أنا ظلمت جون ظلمًا خفيًا وصاحب الصوت هذا الرجل الغامض؟».

«بالاك هل رأيت تلك العجوز الهندية؟».

«أجل».

«إن الفضول سيقتلني إن لم أعرف سر تلك النظرة التي تلقتها من إيفانكا، في الحقيقة شعرت وكأنها صفعة قد ضُرِبت بها تلك العجوز».

«هل تريدين تضييع الوقت في البحث عن مشاعر عجوز لا فائدة منها ؟».

«أعلم تمامًا بأنك لا تدرك معنى لغة العيون، هي لغة صامتة، تتوقف كامل الحواس حينها ماعدا العيون التي ترسل حديث القلوب من خلالها قد نشعر بالحب وقليل من سيوافقني في ذلك، وقد نشعر بالإعجاب والكره والتوبيخ والتأنيب والعتاب، شعرت بأن تلك النظرة شيء خفي ربما توبيخ أو عتاب، وأريد معرفة لِمَ ذلك التحسس بينهما »ملتفةً إليه: «ربما سيكون شيء مفيد لنا في كشف الحقيقة».

«أعترف بأنكِ فيلسوفة، وأوافقك الرأي لكن أريد قضاء حاجتي سأموت».

«أدر المحرك لنذهب لمكان ما، تستطيع قضاء حاجتك فيه، وسأحادث زميلًا لي في هانبورغ يعمل في القنصلية الهندية ربما يستطيع معرفة شيء عن المدعوة ناندیني».

في أحد أزقة المدينة جون يحدث نفسه وهو يقضم في أظافره جرّاء التوتر الشديد:«سيفعلها أخي، إنه جاد، سيموت مزيدًا من الأبرياء».

اصطدم بعجوزٍ خارجًا من أحد المقاهي في المدينة:«سيدي أنا آسف آسف» أمسك بالعجوز المخمور يحاول رفعه، رد العجوز قائلًا:«دعني فأنا بأي حال سأموت، آخ يا ظهري أنا بالكاد أمشي والآن لا أستطيع المشي».

«كفاك عنادًا يا سيد أمسِك بيدي جيدًا».

مترنحًا «أريد الذهاب لمنزلي، أمي تنتظرني هناك».

ممسكًا بالعجوز لئلًا يقع:«يا حبيبي وأيضًا خرِف».

رائحة الخمر تفوح من فم العجوز وبدا أن جون مشمئزًا منها.

ملأ صوت العجوز الأنحاء بغنائه لمقطوعة قديمة كان يغنيها مع أقرانه في الجيش الألماني إبّان الحرب العالمية الثانية.

«هل بإمكانك أن تخفض صوتك قليلًا».

العجوز متجاهلًا إياه:«ستمطر السماء قنابل يا أصدقاء كونوا على أهبة الاستعداد».

«يا سيد هل بإمكانك إخباري أين منزلك؟، لا يمكنني تركك وحيدًا، وعلى هذه الحال».

ملتفةً إليه قائلًا بسخرية: «شاب طيب، أدخل يدك في معطفي ستجد العنوان».

باحثًا في معطف العجوز:«أين أين، أوه ها هي ! منعطف جادة كاونتري نهاية الطريق الآخر، ماذا كوح الإملاء ليس جيدًا ربما كوخ».

«كوخ جميل».

«اصمت قليلًا، سأتصل بإحدى شركات سيارات الأجرة».

«اسمعي يا أيتها النازية، جنينك عندما تلدينه سنأخذه معنا، عائلة والده أحق بتربيته».

واضعًا منديله الزهري على أنفه وأخذ جولة سريعة حول المنزل بعينيه، وأردف قائلًا: «حفيد عائلة مارتنيز لن يعيش في هذا المنزل».

وإيفانكا لم تنبس ببنت شفة والارتعاش قد تملَّك جسدها.

قال بوسط ضحكاته: «أنتِ جميلة، لكن لست سوى مجرد نازية ابنة نازي حقير».

رأى ردة فعل كلماته عليها من خلال كزها لأسنانها ونظرتها الحاقدة له.

قطب حاجبيه: «لقد أخفتيني يا امرأة، أخشى أن تتحولي لساحرة».

«هل ستعطيني المال؟».

«كما كنت أعتقد لقد قمتِ بخداع أخي ببراءة وجهك وهدفك المال والثروة التي تمتلكها عائلتي».

« ثلاثون ألف يورو وأعدك بأنك لن ترى وجهي بعدها».

حرك أصابعه أمام عينيها: «كثير».

ابتلعت ريقها: «إذًا تريد مني أن أقبل بعشرة آلاف «.

رجع لمقعده قائلًا: «وكأن لديكِ شيئًا تحاولين مقايضتي به، غير ابن أخي؟».

«أعرف من قاتل أخيك».

انتفض من مكانه وأمسك بشعرها شادًا إياه: «تحدثي من هو؟».

«إنك تؤلمني».

«قلت من هو؟».

«إنه. . . . . ».

جون: «هيا يا سيد ها نحن ذا قد وصلنا لكوخك الجميل».

والعجوز على ظهره غاطًّا في سبات عميق.

«آه لقد وجدت وجهتك وأنا ضائع في هذه المدينة، اللعنة»، بعدما وضع العجوز على فراشه، بدأ في تفتيش جيوبه يبحث عن هاتفه، سأحاول الاتصال بتلك العربية وذاك الأحمق ليقلاني من هنا: « أين هاتفي؟ لا أجده لقد أضعته أوف، أي حظ سيئ ولدت به».

جلس على الكرسي المقابل للعجوز النائم، استرخى قليلًا، ونهض ثانيةً: «لا بد وأن في المنزل هاتفًا سأتصل بالقسم في هانبورغ ليوصلوني بالقسم الذي هنا»، بدأ يبحث في أرجاء الكوخ، لفت انتباهه الكثير من الصور المختلفة لأشخاص غريبي الأطوار قليلًا، «ماهذا؟ هتلر في كل زاوية، العجوز نازي متعصب للماضي».

بعدما تقدم خطوتين إلى الأمام عاد خطوة إلى الخلف، رأى غرفة مظلمة جدًا ومختلفة في تصميمها الخارجي عن باقي الغرف.

« وكأن الباب دبابة عسكرية، أممم لهذا العجوز ذوق مختلف».

بدأت شعلة الفضول تتأجج بداخله حتى فتح إنارة الغرفة.

«صور أشخا. . . . . ، يا إلهي جميع هؤلاء الأشخاص، منهم

من مات بطرق مختلفة ومنهم من اختفى بظروف غامضة».

بدأ قلبه يخفق بشدة: «هل يا ترى وجدت ما أبحث».

شد معطفه حول جسمه: «من المؤكد بأن هذا العجوز سبب تلك الحوادث، فلا أحد يمتلك هذه الصور ويعلم أصحابها غيرنا في القسم».

ازداد الخفقان أشد من ذي قبل، عندما رأى صورةً من بين الصور تجمعه مع أخيه.

«أنا وأخي في نظره في عداد الأموات، نحن مستهدفان، سأرحل من هنا سريعًا وسأعود للقبض عليه».

فور مروره من الباب إذ سقط دفتر من على الطاولة التي بجانبه، بدا لجون بأنه دفتر مذكرات أو ذكريات بسبب تلك الرسوم التي على غلافه، ما إن نزل على الأرض لالتقاط الدفتر تلقى ضربة من الخلف أفقدته وعيه.

أتى ستيثيام راكضًا لمنزل ناطلس وطرق الباب بشدة، يُخيّل لمن رآه وكأنه يريد إسقاط الباب من شدة الطرق.

صارخًا بأعلى صوته المتحشرج» نااااااطلس، بسببك انتحر صديقي، اخرج يا جبان، بسبب علاجك تحطم صديقي، بسببك صديقي لم يعد يرغب بالحياة، نااااااطلس، لن أبرح مكاني هل تسمعني؟ سأقتلك أقسم لك لن تبقى حيًا».

وناطلس ينظر من نافذته العليا مبتسمًا وقائلًا في نفسه:« كان لا بد أن يدفع ثمن فعلته بي».

تورمت يدا ستيثيام من طرق الباب، وجلس أمام الباب جاثيًا على ركبتيه، ريثما أتت عائلة ناطلس من عشاء عائلي، إذ بوالد ناطلس واضعًا يده على كتف ستيثيام قائلًا:« إنه من غير المنصف أن نضع مخلفات أحزاننا على الآخرين، انهض واذهب لمنزلك يا بني».

« سأبقى بانتظار ناطلس هو السبب في انتحار مايكل».

«انهض يا بني فأنت تمنعنا من دخول منزلنا».

«لن أبتعد؛ لأنني لو فعلت لن يخرج ناطلس، ابقوا خارجًا وسيخرج لأجلكم».

أخت ناطلس:« إن هذا المختل غير معقول فعله، اتصل بأسرته أو بالشرطة لتأخذه».

تجاوب الوالد مع ابنته واتصل بالشرطة بعد عدة دقائق معدودة أتوه وأخذوه جرًا وعنوة من أمام الباب، وهو يحاول التفلت ولسانه لا يكف عن القَسَم والوعيد؛ بأنه سينتقم من ناطلس المتسبب بموت صديقه».

«بالاك هل بإمكانك أن تصمت قليلًا».

بتذمر: «لِمَ أنا أحاول تحليل الأمور ومساعدتك، وأنتِ منذ خرجنا من المنزل وضعتي السماعة في أذنيكِ، أنتِ منشغلة بالاستماع للأغاني ومستمتعة بها وأنا أشعر بالملل، وأيضًا تريدين مني أن أصمت؟».

ملتفةً إليه: «قلت اصمت قليلًا هل ذلك ممكن؟».

علامات الحزن باديةً عليه«:حاضر».

بعد برهة نظرا إذا بالرجل الإيطالي خارجًا من المبنى.

سلمى بصوت منخفض: «عرفت من هو، وعرفت ماذا يريد!».

إذ بأحدهم يطرق نافذة السيارة، «ها أنتما ذا أخيرًا وجدتكما ما الذي تفعلانه هنا؟».

سلمى واضعة يدها على صدرها:«جون لقد أخفتني».

بالاك مبتسمًا: «لا تبدو غاضبًا منا».

جون:« ولِمَ أغضب فليس هناك شيء يدعو للغضب».

سلمى: «تبدو هادئًا على غير العادة».

جون: «لا شيء يدعو للتوتر، أممم تراقبان إيفانكا؟».

بالاك: «لنا ساعات هنا ولا جديد، إلا رجل غريب أتى ودخل

المبنى وليس بالضرورة لمنزلها، انظر التقطت له صورة».

جون مذعورًا: «صحيح ربما أتى لأحد من سكان المبنى».

سلمى منشغلة بكتابة ما سمعته من خلال جهاز التنصت الذي زرعته تحت المنضدة، فبعد خروج الإيطالي عم الهدوء المكان الآخر، على ما يبدو أن إيفانكا قد خلدت إلى النوم؟ لا فلا زال الوقت باكرًا !!! لقد كانت إيفانكا ذلك الحين تحزم أمتعتها وتوضب أغراضها للهرب سريعًا بعدما تسلمهم الطفل الذي ستجلبه ناندیني من المستشفى وتتقاضى مقابله عشرة آلاف يورو وثلاثين ألف يورو جزاءً من تاتسويني على إخبارها إياه باسم ومعلومات جمة عن قاتل أخيه أنطونيو.

كانت إيفانكا ترى الشك في عيني تاتسويني، وفهمت مغزاه جيدًا بأنه سيرى حمض الطفل النووي **DNA** فور ولادته للتأكد من أنه ابن أخيه؛ في ذلك الحين قررت أن توفر العناء على تاتسويني وتحضر تقريرًا طبيًّا مزورًا مع ناندیني قبل موعد الولادة المزعوم أي مع الطفل.

أرسلت رسالة إلى ناندیني مفادها التأكيد على جلب الطفل وأمر جديد بجلب التقرير.

فقد كانت حريصة جدًا على ألا يراها أحد تدخل منزل ناندیني أو العكس.

في جهة أخرى، أي خارج المبنى وداخل سيارة المرسيدس بالتحديد، ثلاثة أشخاص بين كر وفر في الأفكار والاحتمالات التي كان جون يحاول إعاقة القضية بأي وجهةٍ كان.

خرجت سلمى من السيارة غاضبة؛ بسبب عدم مقدرتها على فهم تماطل جون في هذه القضية والرغبة في تركها.

بدأت تسوقها خطواتها إلى أن توقفت عند أحد المحلات الصغيرة، أتاها اتصال من زميلها الذي يعمل في القنصلية الهندية.

ردت: «مرحبًا مولر ما الأخبار».

«لدي ملفها أمامي، سأقرأ عليكِ المعلومات جميعها وخذي ما ينفعك».

دخلت المحل: «إنني أسمعك».

«تدعى ناندیني ماليك، من مواليد 1975م، أرملة لديها خمسة أبناء، جاءت من قرية تدعى لاكنو في الصيف قبل أربع سنوات، تعمل خادمة في مستشفى عائلة مارتنيز، تتحدث الهندية والإنجليزية والألمانية».

«لقد كذِبت».

«عفوًا».

« لا شيء أقصد أكمل».

«فقط هذا كل ما لديّ».

«شكرًا أنا ممتنة لك على المساعدة»، دون سماع رد من الطرف الآخر، أغلقت الخط وعادت إلى السيارة.

«وجدت طرف الخيط أخيرًا».

جون في قرارة نفسه قائلًا: «سأقطع هذا الخيط قبل أن تمسكِ به»، وجهر بصوته قائلًا:« أخبرينا ما هو؟».

ترددت في البوح لهما وتحدثت أخيرًا: « ناندیني جارتها، سنذهب إليها أنا وبالاك لمقر عملها أما أنت يا جون استمر في المراقبة».

تحدّث جون مرة أخرى في قرارة نفسه قائلًا: « ناندیني تعرفني جيدًا وقد رأتني قبلًا، أخشى أن تفضحني أمامها» بدت عليه ملامح السعادة« سأدعي بأني موافق على المراقبة وسأذهب لرؤية حبيبتي إن الفرصة سانحة لي».

سلمى: «جون إنني أكلمك هل أنت موافق».

«أجل اذهبا سأترجل من السيارة وداعًا أراكما لاحقًا»، ودَعهما وقلبه يتراقص فرحًا.

في كوخ العجوز، وفي إحدى زواياه الداخلية، رُبِط جون بشدة في أحد الكراسي، واستيقظ بعد ساعة من الضربة التي تلقاها، قائلًا:«أين أنا؟ ما الذي حدث لي؟ الدم ينزف من رأسي».

العجوز: «استيقظت أخيرًا، لقد زاد ألم ظهري فلقد تعبت في سحبك إلى هنا».

جون متألمًا: « ما الذي تريده مني؟ ومن الناس الأبرياء الذين آذيتهم وقتلتهم بعد ذلك؟»

العجوز: «الانتقام لروح قائدي».

جون بغضب: «مهووس ومجنون خرِف، ما الذي سبيناه لك؟».

العجوز يحاول إشعال لفافة التبغ: « آباؤكم وأجدادكم سبب موت قائدي».

جون: « قائدك مات منتحرًا، لم يتسبب أحد في موته، هو اختار أن يضع حدًا لحياته».

العجوز منزعجًا جدًا: «أصمت، أنت كبقية الناس تصدّق ما يقال في الكتب الملفقة ووسائل الإعلام الكاذبة».

ناهضًا من الكرسي المقابل لجون: «ستدفع الثمن كالبقية أيضًا،

لكن مع أخيك».

جون« :أخي، أرجوك خذ حياتي ودع أخي يعيش».

العجوز: «أنا وابنتي خططنا لقتلكما معًا، فأنتما توأم، ولدتما معًا وستموتان معًا، غدًا ستأتي طفلتي مع أخيك إلى هنا، لا بد أن تكون نهاية رحلة الانتقام تنبض بالرحمة قليلًا، لذلك قررت أن تودّعا بعضكما قبل الموت» مشددًا على الواو.

وعينا جون ملئت بالدموع :«ابنتك إيفانكا؟».

العجوز: «أجل تمنيت أن تكون شابًا لكن فعلت ما يفعله الشاب الشجاع».

جون بقهر: «لقد أوقعت أخي بحبها، وهو الآن مغرم جدًا بها، فلقد أصبح عاشقا وقتل لأجلها، ربما تحبه هي أيضًا».

العجوز بغضب شديد، وما إن اشتعلت اللفافة حتى أطفأها: «ابنتي لا تُكِنّ الحب لأخيك، أنت لم تستوعب بأنها أغوته وأوقعته في حبها لتنتقم من أجلي».

جون محاولًا التفلت ولا جدوى.

تركه العجوز في غرفة مظلمة لا يرى سوى شبح الموت السريع أمامه.

رأت ناندیني سلمى وبالاك قد دخلا من أحد مداخل المستشفى الذي تعمل فيه، واختبأت في أحد الغرف من أجل ألا يرياها، أحسّت بإرتجاف شديد قد تملّك جسدها، حاولت أن تشجع نفسها بأن لا شيء يدعو إلى القلق ربما مصادفة ليس إلا، لكن بعد أن سمعت من خلال مكبرات الصوت المنتشرة بالمستشفى يُنادى باسمها، علمت بأن المحققين علما الكثير عنها، قررت الهرب مع أحد المخارج لكن للأسف تم القبض عليها بعد الأمر من سلمى المسبق بإغلاق مخارج المستشفى جميعًا.

في غرفة مدير المستشفى تم إجلاس ناندیني في الجهة المقابلة لسلمى وبالاك، بدأت الحديث سلمى قائلة: « هل نتحدث بالإنجليزية أو الألمانية يا ناندیني».

لا جواب سوى ارتجاف منها، سلمى: «ناندیني الصمت لن يفيدك، هل بإمكانك إخباري عما تعرفينه حول إيفانكا؟».

تحدثت ناندیني في قرارة نفسها: «إن أخبرتها سأخسر عملي أولًا وسأعاقب على كتمي لحقائق مهمة، لن أخبرها».

سلمى« :أخبريني، أعلم بأنكِ سيدة طيبة وضميرك لن يجعلك

تتسببين في إذية أحد، أعدك بأنني سأساعدك».

بالاك هامسًا لسلمى: « ما الجدوى من سؤالها؟».

سلمى: «بعد قليل ستفهم».

سلمى: «سيدتي لقد كذبتِ عندما قلتِ لنا بأنكِ لا تتحدثين الألمانية، ولا تخشين شيئًا نحن نسامحك، لكن الله لن يسامحك إن أوذى أحد بسببك، أنتِ أم لخمسة أبناء وتعلمين ما أقصد».

ناندیني نطقت بعد تردد طويل: «أتعدانني بأنني سأكون في حمايتكما؟».

«أجل، فقط قولي لي ما الذي تعرفينه أنتِ ونحن لا نعرفه».

حكت ناندیني لسلمى القصة بكاملها، بجميع فصولها من الطريقة التي تم قتل العجوز بها إلى طلب إيفانكا للطفل.

سألت سلمى ناندیني عن اسم الشخص الذي يتردد دومًا لزيارة إيفانكا بغياب زوجها، ردت ناندیني بالمقابل: «تدعوه دومًا بحبيبي».

بالاك: «هل يعلم بأنها ليست بحامل».

ناندیني: «لا يعلم وو فكّرَت بأنني إن أحضرت الطفل لها ستقول له بأنه ابنك».

سلمى: «بالاك أخرج الصور لها»، وعند إخراج بالاك للصور التي يحملها في ملفه، وضعها أمام ناندیني.

سلمى: «ناندیني انظري لهذه الماسورة، في أغلب الصور هل لها علاقة بالعائلة؟»

ناندیني: « دعيني أتذكر، أجل كان يجلب السيد أنطونيو في كل عيد ميلاد لزوجته هذه الماسورة ربما ذكرى لهما، ولها علاقة بحادثة جميلة بينهما».

سلمى: «شكل الماسورة ذاته قتِل أنطونيو بها، أعذراني للحظة»، تنحت جانبًا ووضعت السماعة، محاولة سماع ما يلتقطه جهاز التنصت.

جون ممسكًا بيدي حبيبته إيفانكا، بعدما قبّل شفتيها قال لها: «حبيبتي! هل لديكِ جارة تدعى بناندیني؟».

ردت إيفانكا بتوتر شديد: « أوه أجل ماذا بها؟»، وقد تملكها الخوف الشديد من أن تكون قد أخبرته عن الطفل.

«هل تعلم شيئًا عن قتلنا لأنطونيو؟».

«لقد شكت وربما أيقنت، لكن ليس لديها ما يثبت ذلك، ما سبب سؤالك عنها؟».

«حبيبتي! انظري إليّ هناك محققة ستحقق معها وربما تحقق الآن، مهما يكن سيكون كل شيء على ما يرام».

ضمها لصدره وأردف قائلًا: «لا أريد أن يصيبكما أذىً».

حست إيفانكا بأن قلبها يعتصر ألمًا، وتأنيبًا كيف لها أن تخبر تاتسيوني عنه لقتله، وهو يحمل هذا الكم الهائل من الحب لها في قلبه.

« أنا آسفة بحق آسفة».

مسح دموعها قائلًا: «حبيبتي لا تتأسفي سأكون بخير وأنتما كذلك، أعدك فقط لا تبكي من أجلي هاه».

تحدثت في قرارة نفسها: «لن تكون بخير بسببي».

«حبيبتي عليّ أن أرحل لأنهي بعض العوائق ولي عودة من أجلكما».

ودعته ملوحة بيدها محدثةً نفسها: «لقد اكتفيت من الانتقام، سأذهب إلى والدي وأعلمه بقراري».

«نانديني نظرًا لتسترك على جريمة قتل ووعدي لكِ بالحماية ستكون عقوبتك الترحيل من ألمانيا إلى بلدك».

نانديني ذرفت الدموع باكية: « لا عمل هناك».

«سأساعدك بما لدي، فقط ابتعدي عن هنا، بالاك هل بإمكانك حجز تذكرة لها الآن وترحيلها».

«أجل لكن؛ ما بعينيك تحتبسان الدموع ».

متحدثة في نفسها: «هل أخبره أن من أحببته سرًا صار عاشقًا لأخرى ويقتل لأجلها، ومن أحببت بعد فترة طويلة من إغلاقي لباب الحب أمام قلبي هو عدويّ الذي أبحث عنه»، جهرت بصوتها: « لا شيء، أعطها رقم هاتفي لأستطيع التواصل معها هناك».

حزمت إيفانكا أمتعتها بنية الرحيل لوالدها وذلك عند الساعة التاسعة مساءً، وتركت كل شيء خلفها، والسكن مع والدها في كوخه الصغير، عازمةً على حثه على العدول عن انتقامه المستمر؛ الذي ماتت نبتته في قلب إيفانكا أخيرًا، تخلصت من الأقمشة التي تضعها على بطنها، وبعد عدة دقائق من اتصالها بشركة سيارات الأجرة أتتها سيارة لتقلها، وبعد ساعتين بالتحديد وصلت لوالدها الذي فوجئت بحاله يعتصر من الألم على فراشه، رآها فقال لها: «ابني الشجاع أووه لا تحزني يا ابنتي إنني أراكِ شابًا قويًا وبارًا بي، هل أتممتِ ما قلت لكِ؟».

بتردد: «أجل».

بسعادة مختلطة بالألم: «بقي شخص واحد في قائمتنا وهو محتجز الآن لديّ في الغرفة التي في آخر الرواق، اقتليه».

وعيناها امتلأتا بالدموع: « سينتهي الأمر بعد ذلك».

بنفس متقطع: «أجل، أسرعي، إنني لا أريد أن أموت قبله، أشعر بأن نهايتي قد حانت».

ممسكةً بيده وبدأت الدموع تشق طريقها من خلال وجنتيها:

«أبي لا ترحل وتتركني».

مفلةً يدها قائلًا: «قلت لكِ أسرعي، دعيني قبل رحيلي أسمع صوت إطلاق الرصاصة في رأسه».

أخذت المسدس من فوق المنضدة التي بجانب سرير والدها؛ لتنفيذ آخر أمر تسمعه منه؛ لكن حدث ما لم يكن بالحسبان !

رأت بأن الذي ستقتله هو حبيبها الذي أحبته بغير إرادةٍ منها، نطقت باسمه قائلة: «طوم»، ركضت إليه محاولة فك الأربطة التي توثقه، بأقصى سرعة لديها لئلا يشعر والدها بذلك وأطلقت الرصاصة من عيار ٢٥مل بالسقف، تطمينًا لروح والدها التي فارقت جسده قبلًا.

«طوم استيقظ أنا إيفانكا، أرجوك افتح عينيك من أجلي، لا تتركني كما تركني والدي».

شعرت بأحدهم خلفها وصوته سبق التفاتها إليه، لقد كان الصوت أنثوي ميزته إيفانكا بعدما سمعت صاحبته قائلة:« إنه جون «.

واضعةً رأس جون المغطى بالدماء في حجرها: «إنه حبيبي طوم، إنني أعرفه».

«طوم اغتاله الإيطالي وقتله».

«بالاك أسرع واتصل بالإسعاف».

حضنته بشدة: «لن أدعكم تأخذون طوم مني»، اقتربت منها سلمى عدة خطوات فأمرتها بالتوقف: «إن اقتربتِ أكثر سأقتلك بهذا المسدس».

«إيفانكا هذا جون توأم طوم، وطوم ميت الآن فلا تدعي أخاه يموت بين يديكِ».

متفاجئة: «لطوم توأم».

«أجل ووالدك أراد التخلص منهما معًا، أولًا بالتخلص من طوم عن طريقك ومن جون بطريقته الخاصة».

«أنتم لقد عرفتم حقيقتي ومن المؤكد كل شيء عني وعن والدي»، مبعدةً جون عن حجرها: «خذاه وأنا سألحق بوالدي ومن أحباني وغدرت بهما أنطونيو مارتنيز وطوم ديمتري، فليس لدي ما أحيا لأجله بعد الآن»، وضعت المسدس على رأسها وسلمى وبالاك يصرخان ينهيانها عن فعل ذلك لكن!! لا جدوى فعزيمتها على مغادرة الحياة كانت أقوى.

أتت سيارة الإسعاف بعد عشر دقائق من اتصال بالاك بهم، وقاموا بحمل جون وانطلقوا به إلى المستشفى، بينما بقيَت سلمى في حالة ذعر شديد خوفًا مِن أن تفقد جون، امتلأ الكوخ برجال الشرطة والفدراليين والمحققين بعدما تم أخذ الجثتين(جثةأوليفر وابنته إيفانكا)، استدعى أحد الفدراليين سلمى، قائلًا لها:

«انظري لهذه المذكرات فيها اعترافات ستساعدك في إغلاق القضية أيتها المحققة».

أخذت المذكرة منه بشيء من البرود وذهن شارد وأذن منتظرة سماع خبر سيئ يتعلق بجون، ربما موته أو دخوله في غيبوبة طويلة، بدأت بفتح المذكرة وتقليب الصفحات حتى توقفت عند آخر صفحة تحمل عنوان (النهاية)، يقول كاتبها النازي أوليفر: «إن الحياة كالأفعوانية(لعبة) تدور بنا بسرعة وتمر بمنعطفات كثيرة لكن بالأخير نعود لنقطة البداية، لكن؛ أنا قررت التمرد على قانون الحياة هذه، واخترت طريقًا ومسلكًا عُنونت لافتاته بعبارات القسوة والانتقام، ترددت كثيرًا في كتابة نهاية هذا الطريق لكن بأية حال إن لم أكتبها سينقشها فعلي على ناصيات الخونة، إن المرض لا يمكنني تداركه وأوصلني إلى منحدر أفعل أو لا أفعل.

لتخفيف الألم الذي بداخلي والذي يمزقني إلى أشلاء عمدت إلى الذهاب إلى أحد المقاهي وشربت الكحول لكنني لم أسكر، بل كنت هائمًا بالهم والمسؤولية تجاه قائدي، عندما كنت خارجًا وجدت هدية أهداني إياها القدر، أحد التوأم لأواصل رحلة انتقامي، فعلت ما فعلت به، بفضل ذكائي وقتلته في الحقيقة في هذه اللحظة أنا أكتب وهو محتجز في الغرفة في آخر الرواق

ليس مهمًا سأقتله بعد دقائق، وضعت مسدسي بجانبي توجد فيه رصاصتان فقط؛ واحدة لرأسه والأخرى لرأسي وهكذا تكون قد انتهت رحلتي في هذه الحياة وستكملها ابنتي الشجاعة بقتل التوأم الآخر بعدما أغوته بحبها الزائف وعلى الأرجح هو الآن قد فارق الحياة كما سنفارق الحياة أنا وأخوه بعد لحظات، النهاية».

أغلقت المذكرة، محاولة استيعاب هذا الهوس في الانتقام المبني على كذبة، وكيف حدث عكس ما كان يرغب فيه بطل القصة وكاتبها أيضًا، لم يتوقع بأن المرض لن يعطيه فرصة كما كان يفعل في كل مرة، بدلًا من قتل جون ونفسه بتلك الرصاصتين، أضاعت ابنته إحداها بعدما شعرت بالحب تجاه محبوبها وعندما علمت بأنه ليس هو أنهت حياتها بالرصاصة الأخرى.

شعرت باهتزاز هاتفها وردت قائلًا: «أهلًا بالاك».

«إن جون بخير وتم تدارك الأمر».

لم تستوعب ما سمعته، هل هو حقيقة أو حلم، فقالت:«أعد ما قلت !».

«ألا تسمعي إن جووووون بخير».

شعرت بسعادة عارمة وذهبت إلى المستشفى مع أحد رجال الشرطة الذي كان سعيدًا بطلب جميلة من هانبورغ أن تقلها معه إلى المستشفى ونظرًا للمسافة الطويلة اعتقد بأنها من الممكن أن

تقع في غرامه؛ لكن أيًا من هذا لم يحدث فبمجرد وصولها إلى المستشفى ترجلت من سيارة الشرطة دون أن تلفظ شيئًا؛ لأن قلبها وعقلها يحاولان ترتيب قطع السعادة لتكتمل لوحتها.

عندما همت بالدخول لغرفته سمعت جون يعتذر من بالاك قائلًا في وسط أنين الألم: «سأعترف بأمر ما ويحق لك مسامحتي أو عدمها».

بالاك ممسكًا بيده: «سنتحدث لاحقًا».

رفض جون تأجيل الحديث لوقت آخر قائلًا:«أخي طوم قد مات وهو السبب في مقتل أنطونيو ومايكل وأيضًا أشخاص من قبل ثلاث سنوات ونصف السنة وهذه المدة التي أتلفت فيها الأدلة التي ضده بعدما وضعت لك بدل عصير الليمون عقّار يفقد العقل توازنه، ويجعلك شاكًا في نفسك، مدة من الزمن، فعلت ذلك من أجل حماية أخي، لا يمكنني أن أراه يتأذى».

بحزن وأسى وغضب جامح: «ولأجل ذلك تقربت مني وصادقتني لكي تحمي أخاك المجرم».

«صادقتك ووجدت فيك الشخص الطيب والبريء».

«بسببك كدت أفقد عملي واُتهمت بالجنون كثيرًا».

«أنا آسف، عندما عدت إلى هانبورغ علم أخي بأنني حميته وأوصيته مقابل هذا المعروف الذي أديته له أن يصادقك بدلًا

عني ويبقى بقربك، حقيقة وددت أن يكون قلبه كقلبك صافيًا وليست عليه شائبة، وعدني بأنه لن يقتل أو يؤذي أحدًا ولقد وثقت به كثيرًا فقد كان ممتازًا في الإقناع، وسعدت كثيرًا عندما أخبرني بأنه وقع في حب إحداهن تدعى بإيفانكا وأراني صورهما معًا وسعدت بذلك وهذه البداية الجديدة في حياة أخي، لكن سرعان ما انتكست هذه السعادة وتحولت إلى تعاسة عندما رأيت صور إيفانكا بمختبرك وأنها متزوجة بغير أخي المغرم بها، علمت حينها بأنها ستراني وتتوقع أنني طوم «.

« ولأجل هذا تمارضت».

«أجل، لم أرد أن تراني، ولكي يرتفع الضغط لديّ تناولت كلوريد الصوديوم الذي في مختبرك».

«كدت أن تقتل نفسك».

«أخ يحاول حماية أخيه؛ كنت أردد هذه العبارة منذ أن كنا صغارًا إلى أن كبرنا وعندما علمت بأنه قتل صديقه مايكل ووضع لي علامات لأتوه في كشف الحقيقة أو استفزاز لي، ضقت ذرعًا من هذه العبارة وقررت أن أضع حدًا له، ولكنه هددني بقتل سلمى وليس لدي أدنى شك بأنه سينفذ تهديده باسمي».

«ألا تعلم سبب قتله لصديقه مايكل؟»

« بسبب حبه لتلك المرأة، عندما أحبها كان كالدمية في يدها

تفعل به كيف تشاء ولهدف أبيها في الانتقام جعلته يقتل صديقه مايكل فقد كان جده أحد حراس هتلر».

«هل بإمكاني سؤالك؟ أخوك طوم ذكي كيف لم يكتشف بأن حمل إيفانكا زائف؟ تعلم ما أقصد صحيح؟».

«فهمتك، فلقد كانت تقول له لا يمكنك القرب مني لأنني عملت ربطًا لرحمي لئلًا يسقط ابنك ويموت، وكان يبتعد خوفًا من أن يضر ابنه».

«وهل لهاري علاقة بأخيك؟».

«من المؤكد بأنك انتبهت للجرح في ساقه اليسرى ، كان ذلك الجرح بسبب صخرة مسننة شرخت ساقه عندما كان يحاول مساعدة هاري؛ لكنه لم يستطع، فقد كان وزن هاري ثقيلًا وسقط بالنهر ولم يخبر طوم أحدًا سواي بهذه الحادثة بعد شهر من وقوعها».

سلمى:«هل بإمكاني الدخول؟».

صمتا وعم الهدوء الغرفة لبرهة فقط..

و رد جون:«أين كنتِ؟ فلقد تمنيت أن تكوني بجانبي عندما أستيقظ».

«أراك بخير برغم أنك قد نزفت كثيرًا».

«كان الجرح بسيطًا وأنا لم أحتمل الألم وضيق المكان وفقدت

وعيي، آسف جعلتكِ تقلقين علي».

بخجل: «لم أكن قلقة».

تدخَّل بالاك بالحديث: «بلى كنتِ كذلك، لقد رأيتكِ تبكين لأجله».

بتوتر: «لن أرد عليك وإن حزنت على جون فهو زميلي في العمل واعتدت على مناداته لي بالعربية، لم أتصور أن أعود إلى هانبورغ بدونه».

بالاك:«لقد أُغلقت القضية الآن، انتظري جون عندما يتماثل للشفاء تمامًا؛ سافرا». خنقت عباراته الغصة، متحدثًا في قرارة نفسه:« وأنا سأسافر بعيدًا جدًا لا ذكرى لكِ معي فيها يا سلمى».